الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

مملكة الغرامنت وعلاقاتها بالجوار

القرن 5 ق.م – القرن 5 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في شعبة التاريخ
تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

اعداد الطالبتين:

- عبلـــة سعـــــدان
- نـــوال بن خدوج

إشراف الأستاذ:

د. سعـدان عـــائشة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. بوصبيع عمر	أستاذ محاضر – أ-	رئيســـــا
د. سعدان عائشة	أستاذ محاضر – ب-	مشرفا ومقررا
أ. د جراية محمد رشدي	أستاذ التعليم العالي	مناقشـــــا

السنة الجامعية: 2024 / 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

مصداقا لقول رسولنا الكريم صل الله عليه وسلم " من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

بداية نشكر الله حق الشكر الذي أمدنا بالقوة والجهد والتوفيق ووفقنا

لإتمام هذا العمل المتواضع

ثم نتقدم بالشكر والعرفان للأستاذة المشرفة

كذلك نشكر لكل من ساهم معنا في انجاز هذا العمل وأمد يد العون لنا ولو بكلمة

وإلى كل من أنار دربنا في مختلف المراحل التعليمية خاصة في مرحلة الماستر

وإلى كل الزملاء الذين ترافقنا معهم وتبادلنا النصح والمشورة.

مقدمـــــــــــــة

إن الموضوع الذي بين أيدينا والموسوم بحضارة الغرامنت يندرج ضمن دراسات التاريخ الحضاري الجيوسياسي والعسكري والاجتماعي والذي يصنف من أهم الدراسات التي تنطبق عليها صفة الشمولية، خاصة عندما تكون لدراسة المجتمعات القديمة، والغرامنت إحدى أبرز الحضارات التي نشأت في الصحراء الكبرى بمنطقة فزان قديما، وكانت قوة سياسية واقتصادية وحضارية متميزة لا يستهان بنشاطها على مسرح الأحداث ومن هنا:

قمنا بدراسة هذه الحضارة في الفترة الممتدة بين القرن الخامس قبل الميلاد، تاريخ تأسيسها الذي أكدته المصادر الأدبية، كهيريدوت مثلاً، في كتابه تاريخ هيريدوت وإلى غاية القرن الخامس للميلاد عند انقشاع الاحتلال الروماني وجلائه من بلاد المغرب القديم، واخترنا التوقف عند هذا التاريخ وهو زوال الرومان وليس مملكة الغرامنت لطول الفترة الزمنية المتبقية والمتعلقة بمرحلتي الاحتلال الوندالي ثم البيزنطي، وكذلك لقلة مراجعها فهي مرحلة تتطلب وقت أطول خاصة وأن هناك صعوبة في البحث عن مراجعها لأن أكثرها باللغة الأجنبية ولا بد من ترجمتها.

اخترنا دراسة مملكة الغرامنت لأسباب أهمها الرغبة في التعرف على هذه الحضارة الموغلة في الزمن من جميع جوانبها، وذلك لعظمة ما خلفوه من مظاهر حضارية مبهرة، كذلك الرسوم التصويرية على جبال الصحراء الكبرى التي يتملك زائرها شعور بالفخر ممزوج بكم هائل من الفضول المعرفي، حول مجريات حياة هذه الحضارة خاصة أنها قامت في منطقة صحراوية صعبة المراس، بالإضافة إلى أنها لم تأخذ حقها من الدراسة وكذلك لإثراء المكتبة وإفادة زملاء الطلبة.

تتمثل إشكالية هذه الدراسة الأساسية حول مملكة الغرامنت، وهي تحديداً فيما تمثلت حضارة مملكة الغرامنت؟ ومن البديهي أن تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية تحدد مسار هذه الدراسة، ومن أهمها: ما هي أبرز سيماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية؟، وكيف كانت علاقاته بالجوار؟

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي الملائم لوصف الأحداث إضافة إلى وصف الشواهد الأثرية المادية وما أكثرها في هذا البحث وقد تخلل هذين المنهجين المنهج التحليلي والمقارن في تحليل ومقارنة ما ذكر في المصادر ومختلف الدراسات التاريخية الأخرى.

قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وأربعة فصول تخللها مجموعة من العناصر الأساسية والفرعية حسب ما توفره المادة العلمية، تناولت في الفصل الأول نشأة مملكة الغرامنت وتطورها وذلك من خلال ثلاثة عناصر أولها بيّنا فيه موقع المملكة وجغرافيتها في صحراء فزان وتناولنا في العنصر الثاني أصولهم التاريخية التي أثبتت أنهم أصلاء في

بلادهم قاموا بتأسيس مملكتهم المترامية الأطراف من البداية حتى التطور، أما العنصر الثالث فيدرس ذكرهم في المصادر الأدبية القديمة.

درسنا بالفصل الثاني حياتهم السياسية والاقتصادية مبرزين ذلك في عنصرين أولاهما النظام السياسي وطريقة الحكم، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى النظمهم الاقتصادية المتنوعة.

الفصل الثالث جاء بعنوان الحياة الاجتماعية والدينية واحتوى هو الآخر على عنصرين درست في الأول النظمهم الاجتماعية المختلفة وفي العنصر الثاني دياناتهم ومراحل تطورها.

وبالنسبة للفصل الرابع والأخير فقد قمنا بدراسة علاقات جرمة بمن حولها من كيانات سياسية سواء الداخلية منها والخارجية، وقد ختمنا هذه الدراسة بخاتمة استخلصنا فيها جملة من النتائج الهامة.

اعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على جملة من المراجع والدراسات أهمها جرمة من تاريخ الحضارة الليبية للباحث والأثري محمد سليمان أيوب وتناول مملكة جرمة بالدراسة في جلّ مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكتاب المنقب على الأثار تشارلز دانيلز الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا وقد تعهد هو الآخر دراسة جرمة من فترتها الباكرة إلى غاية اندثار الاحتلال الروماني من المغرب القديم، بالإضافة إلى العديد من الدراسات الهامة التي أثرت الموضوع.

وككل باحث واجهتنا بعض الصعوبات أهمها تكرار المعلومات في جل المراجعة وشحها في بعض عناصر البحث بالإضافة إلى تضارب المادة العلمية من مرجع لآخر أحيانا.

الفصل التمهيدي: قبائل الغرامنت النشأة والتطور

أولا: دراسة جغرافية

1- الموقع الجغرافي

2- السطح

3- المناخ

4- الغطاء النباتي

ثانيا: الأصول التاريخية وتأسيس جرمة

1- الجذور التاريخية

2- تأسيس المملكة

3- المناخ

4- الغطاء النباتي

ثالثا: الغرامنت من خلال المصادر الكلاسيكية

1- هيرودوت

2- سترابون

3- فرجيلوس

4- بلين الكبير

قبائل الغرامنت النشأة والتطور

أولا: دراسة جغرافية

1- الموقع الجغرافي:

الموقع الجغرافي لمملكة الغرامنت هو الإقليم الممتد بين جنوب ليبيا وجنوب غربها حاليا، وهو ما يسمى بإقليم فزان إلا أن هذا الأخير كان أكثر اتساعا مما هو عليه الآن[1]، حيث يمتد شمالا من السفوح الجنوبية لجبل نفوسة والتي تتضمن المرتفعات التي تسمى اليوم بجبال الصالحات ومسلاته ووادي زازامت وواحات بونجيم وجالو إلى غاية هضبة التبستي وجبل طومو الذي يفصل بين ليبيا والتشاد حاليا[2]، أما شرقا فيمتد من واحات الكفرة وإقليم برقة إلى منطقة شرق الجزائر الوسطى والمسماة بالعرق الشرقي الكبير غربا[3]، وبالتالي تقع فزان على الناحية الشمالية من الصحراء الكبرى تشغل منطقة واسعة فيما بين سواحل البحر المتوسط شمالا ومنطقة السفانا الإفريقية جنوبا وذلك بين دائرتي عرض 35° -15° شمالا، وتحديدا تقع أراضي الغرامنت في وادي الآجال (وادي الحياة)، على بعد حوالي ألف كلم جنوب مدينة أويا وهو منخفض متعرج يبلغ طوله 160 كلم وعرضه من 03 إلى 06 كلم[4].

2- مظاهر السطح:

يطغى الطابع الصحراوي على إقليم فزان بصفة عامة، ورغم ذلك فهي صحاري تختلف في أشكالها الجيومرفولوجية من مكان لآخر من حيث الارتفاع والانحدار، وتتمثل هذه الأخيرة في جبل العوينات والهروج السوداء والتاسيلي والتبستي والأكاكاوس وتدرارات، أما السهول فهي حصوية سميت بالسرير، مثل سرير أم علا، سرير القطوسة وسرير تبستي ويتمركزون جنوب فزان[5]. ومنها تأتي منطقة المنخفضات الجنوبية وبها وادي تنزوفت ومنخفض الكفرة الذي يحتوي على مجموعة من الواحات وهي الجوف وبوما الزيوف والطيليب والطلاب وإلى الشمال من منخفض الكفرة نجد منخفض زيغن حيث توجد واحات تازربو ذات أشجار النخيل الكثيرة[6]، ونجد في منطقة المنخفضات جملة من

---

[1] - محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي، طرابلس، 1969م، ص09.

[2] - نجلاء عبد الله الزدام، الجرامنت علاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، جامعة المرق، رسالة ماجستير، ليبيا، 2009م، ص ص09-10.

[3] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص09.

[4] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص10.

[5] - الديناصوري جمال الدين، جغرافية فزان، دار ليبيا للنشر، بنغازي، د ت، ص 94.

[6] - مصطفى خاتمي، التميز الحضاري للصحراء الوسطى خلال العصور القديمة مملكة جرمة أنموذجا، رسالة لنيل متطلبات الدكتوراه، جامعة وهران، 2021م، ص 41.

الأحواض أهمها حوض فزان، ويتميز بالاتساع الشديد وتتخلله العديد من المنخفضات الطويلة، نجد شمالا الحافة الجنوبية لهضبة الحمادة الحمراء وجنوبا مرتفعات تمور أما شرقا توجد مرتفعات الهرج ومن الجهة الغربية تحده قمم التاسيلي وحمادة تنغرت[1]، وتخلل حوض فزان العديد من الأودية نذكر مثل وادي الحفرة ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من فزان[2] ووادي الآجال وبه منخفضين إضافة إلى بروز على شكل رأس هلال يسمى جبل زنككرا وفيه اكتشفت أقدم مستوطنات الجرامنتية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث كذلك به العاصمة الأولى جرمة القديمة[3] وأخيرا وادي الشاطئ وهو واد كبير يمتد من الغرب إلى الشرق على طول الحافة الجنوبية للحمادة الحمراء، يوجد داخله أشجار النخيل بكثافة كبيرة وهو أغنى مناطق فزان بالمياه الجوفية[4].

3- المناخ:

عندما نتحدث عن الناحية المناخية فنجد أن المناخ الصحراوي القاري يسود المنطقة والتي يمتاز بشدة الحرارة صيفا وشدة البرودة شتاء، كذلك يتصف بوجود فرق كبير في درجات الحرارة بين الليل والنهار مما يؤدي إلى تفتت الصخور وتآكل التربة[5]، أما التساقط فيكاد يكون منعدما إلا في الجهات الشمالية المحاذية لسهول البحر المتوسط حيث تسقط الأمطار خلال فصل الشتاء مما يؤدي إلى تشكل الوديان كما تسود فزان الرياح الشمالية وهي جافة ومعتدلة ولكن في فصل الصيف تهب رياح حارة من الناحية الجنوبية تعرف باسم الجبلي تكون محملة بالكثير من التراب وتدوم لعدة أيام وهي مضرة بالزرع والحيوانات وتطمر الآبار[6].

4- الغطاء النباتي:

نظرا لمناخ فزان القاسي والذي يتسم بالحرارة الشديدة أو البرودة الشديدة ولندرة تساقط الأمطار في هذا الإقليم فقد أثر سلبا على الغطاء النباتي للمنطقة حيث تنبت فيه عدا النباتات الشوكية كالصبار والأعشاب التي تتحمل العطش الشديد بالإضافة إلى أشجار النخيل في الواحات مشكلة غابات كثيفة ولأن التمر هو غذاءهم الأساسي فإن النخلة هي أهم الأشجار عندهم وتأتي بعدها أشجار التل التي يستعمل خشبها في صناعة الشواديف والسواقي لمتانته[7].

---

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 13.
[2] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 14.
[3] - تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا، تر: أحمد اليازردي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1974، ص22.
[4] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص42.
[5] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص16.
[6] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص21.
[7] - نفسه، ص21.

غير أن المصادر القديمة والأبحاث الأثرية في فزان والتي ترجع إلى ما قبل التاريخ في زنككرا دلت على وجود زراعات قديمة للقمح إلى جانب أشجار النخيل في المنطقة وكذا بعض المحاصيل التي تزرع وتسقى بواسطة الري كالحبوب والخضروات والقمح والشعير والعنب ولكن تسقى بكميات قليلة ويشير هيرودوت إلى أن الغرامنت كانوا يغطون سطح الأرض المالحة بطبقة من التراب ثم يبذرون البذور[1].

ثانيا: الأصول التاريخية وتأسيس جرمة

1- الجذور التاريخية:

نستشف من خلال المصادر أن الغرامنت شكلوا جزء أساسي من قبائل الصحراء الكبرى قديما وعاشوا في أقصى الصحراء الليبية، وقد فرقت المصادر الرومانية بينهم وبين قبائل الجيتول على عكس المصادر الإغريقية التي اعتبرتهم جنس واحد لكنهم مختلفون في طريقة العيش واعتبرت أن الغرامنت أكثر تحضر[2].

أخذ الغرامنت تسميتهم نسبة إلى عاصمتهم والتي تُنطق بلسانهم تغرمة (Tagharma) وغرامة (Garama) في اللغة اللاتينية القديمة، أما حاليا فتسمى جرمة (Djerma) وتقع في جنوب ليبيا على بعد 80 كلم من الشمال الغربي لمرزق[3]. وقد اختلفت المراجع حول أصول الغرامنت حيث اعتبرهم أصحاب الرأي الأول أنهم من شعوب البحر وتحديدا من جزر صقلية وكريت وسردينيا نزحوا هروبا من زلزال دمر بلادهم وجاءوا إلى الساحل الليبي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد لغزو مصر وعند فشلهم توجهوا نحو واحات الجنوب عندما قدم الفينيقيون للمنطقة[4].

ذهب أصحاب الرأي الثاني إلى أنهم من واحة سيوة؛ اتجهوا نحو الواحات الليبية هروبا من حملة الملك الفارسي قمبيز الثاني (529-522 ق م) الذي أرسل حملة عسكرية إلى سيوة انتقاما من النبوءات التي يطلقها معبد آمون هناك والتي جاء فيها أن الفرس ستلحق بهم هزيمة يُلاقي فيها قمبيز مصير سيء في أقرب الآجال إلا أن هذه الحملة فشلت لهلاك الجيش الفارسي في الصحراء وهو متجه إليهم[5].

---

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 20.

[2] - Marcel Baudir, Hommes Voilés et Femmes bibires: Les Touareg, Harmattan, Paris, 2008, p 61.

[3] - بن عطياالله عبد الرحمان، المدن والتمدن في الصحراء الكبرى قديما "دراسة حالة عاصمة شعب الغرامنت مدينة غرمة"، مجلة العصور الجديدة، ع10، جويلية 2013م، ص 35.

[4]- محمد على عيسي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والأنثروبولوجية واللغوية، المركز الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م، ص 308.

[5] - محمد علي الدراوي، الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع18، جامعة المرقب، ليبيا، دس، ص 544.

بينما يذهب أصحاب الرأي الثالث إلى اعتبار شعوب الغرامنت من الفلسطو الذين هاجروا من بلادهم إلى الشمال الإفريقي بعد هزيمة جالوت أمام الملك داوود استنادا على ما ذكره بروكوبيوس القيصري من أن اليهود خرجوا من مصر بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام متجهين نحو فلسطين وقد تمكنوا من السيطرة عليها بعد حرب شرسة فنزح جزء من أهلها نحو مصر ومنها اتجهوا إلى ليبيا وهؤلاء هم أسلاف الجرامنت[1].

يتبين مما سبق من آراء أنه لا يوجد أي دليل مادي يدعم الجانب الأدبي ويثبت صحته، وتبين الأبحاث التي قام بها علماء الأنثروبولوجيا أن شعب الجرامنت هو نتاج اختلاط بين العنصر المتوسطي الإفريقي والأثيوبي الزنجي الذين استقروا في المنطقة منذ العصر الحجري الحديث فهم يعتبرون الجيل الثالث في المنطقة، وأكدوا أن كل الادعاءات التي اعتبرهم سكان وافدون غير صحيحة ولا تستند إلى أدلة علمية وعليه فهم من أصول ليبية محلية[2] حتى تظهر أبحاث موثوقة جديدة.

2- تأسيس المملكة:

تدل الشواهد واللقى الأثرية والمصادر الأدبية على أن مدينة جرمة عرفت تغيرات في موقعها ولهذا قسم المؤرخون مرحلة تأسيس هذه المملكة إلى مرحلتين نأتي على ذكرها كرونولوجيا:

2-1 مرحلة المستوطنات الباكرة (1000- 500 ق م):

يعود تاريخ هذه المستوطنات إلى منتصف الألف الأولى أو الثانية قبل الميلاد حسب ما أكدت دراسات دانيلز تشارلز الأثرية حول فزان وبينت أن الغرامنت اختاروا في هذه المرحلة الباكرة بناء مستوطناتهم على رؤوس جبال المساك وطافت والأكاكوس والطاسيلي وكذا منحدراتها[3]، كما توجد أعداد كبيرة من المستوطنات على منحدرات وادي الآجال وخاصة في زنككرا والتي بينت أعمال التنقيب أن الاستيطان الرئيسي والأقدم كان بها حيث أجريت دراسة بالكربون المشع (C-14) على عينات مأخوذة من هذا الجبل فكانت نتائجها ترجع إلى النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد كما تم العثور على مجموعة من النقائش والرموز وكذلك الفخار والأدوات الحجرية في جبل زنككرا وتعود هي الأخرى إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، وقد توقف الاستيطان به (جبل زنككرا) عند القرن الخامس قبل الميلاد وبدأ الاستيطان في جرمة فبدأت بوادر بداية مرحلة جديدة[4].

---

[1] - محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص 309.
[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 141.
[3] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص 30.
[4] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 145.

2-2 مملكة جرمة (500 ق م- القرن 7م):

مع انتهاء مرحلة الاستيطان المبكر في زنككرا حوالي 500 قبل الميلاد بدأ يظهر موقع حديث يسمى جرمة، وذلك وسط وادي الآجال مع بداية اضمحلال استيطان الاول تدريجيا إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد[1].

يعود تاريخ اللقى الأثرية التي تعود لمدينة جرمة إلى الفترة الممتدة بين 400 إلى 200 قبل الميلاد، وهذه المرحلة هي التي شيد فيها الغرامنت عاصمتهم الجديدة جرمة، وكذا المدن التابعة لها حيث انتقل السكان من المناطق المرتفعة والمحصنة مثل زنككرا إلى أرضية الوادي المنخفضة والمحصنة طبيعيا بدورها وبنى الغرامنت بيوت استقروا فيها وكونوا بلدات وأطلقوا اسم جرمة على عاصمتهم[2].

ثالثا: الغرامنت من خلال المصادر الكلاسيكية

1- هيرودوت:

الشاهد أن أول من تكلم حول مملكة الغرامنت وحضارتهم المؤرخ الاغريقي هيرودوت الهاليكارناسي حيث قال: "...انطلاقا من أوجيلة وعلى مسافة عشرة أيام أخرى يوجد تل ملحي حوله مياه متدفقة وعدد كبير من أشجار النخيل المثمرة، على غرار الأماكن الأخرى يسكن هنا قوم يسمى الغرامنيون (الغرامنت Garamantes) وهم شعب كثير العدد، ويقوم الغرامنت بنشر طبقة من التراب على الملح ثم يزرعون... وأقصر مسافة بين مواطن الغرامنيين ومواطن اللوتوفاجيين تبلغ ثلاثين يوما ونجد لديهم ثيران ذات القرون الكبيرة والمقوسة ما سبب في مشييها مدبرة إلى الخلف لأنها تغوص في الأرض في حالة السير إلى الأمام وهي ظاهرة غريبة، وفي عدا ذلك كباقي الثيران إذا استثنينا السمك الغليظ للجلد ومتانته والانطباع الذي يتركه الجلد عند لمسه... ويطارد هؤلاء الغرامنتيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة الأثيوبيين التروجلوديت (السود الذين يسكنون الكهوف) الذين يتميزون بالجري السريع..."[3].

---

[1] - الفاخري سعيد مبروكة، المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس ميلادي، مجلة جامعة سبها، مج 14، ع2، 2015م، ص116.

[2] - نفسه، ص116.

[3] - هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، تر: مصطفى أعشى، المعهد الملكي للثقافة الملكية، الرباط، 2009،الكتاب الرابع، الفقرة 183، ص62.

2- سترابون:

تحدث الجغرافي سترابون في مؤلفه الجغرافيا (Geographie) قائلا: "... يقال أن الغرامنت تبعد مسافة تسع أو عشر أيام عن اثيوبيا وخمسة عشر يوم عن واحة أمون، ... حياة هؤلاء الشعوب اعتمادا على نوعية لباسهم وطعامهم بسيطة جدا، فهم يتخذون عدة زوجات وينجبون الكثير من الآطفال، كما أنهم يشبهون البدو الرحل إلى حد كبير، ومقارنة بغيرهم من البلاد تتميز خيولهم وثيرانهم برقاب طويلة جدا، أولى الملوك اهتماما خاصا بتربية الخيول لدرجة أن الاحصاءات الرسمية تسجل مائة ألف مهر في العام، وتتغذى الماشية التي تعيش بمحاذاة أثيوبيا على الحليب واللحوم"[1].

3- فرجيلوس:

ذكر الشاعر فيرجيليوس في خضم تمجيد بلاده قبائل الغرامنت كحد يطمح أن تصل إليه حدود الامبراطورية فقط دون تفصيل قائلا: " هؤلاء الرومان الفخورون، انظروا، إنهم هناك في انتظاركم؛ ها هو قيصر، ها هم هؤلاء الأبطال المنتصرون، أبناء لا عدد لهم من دم يوليوس النبيل، من وعدته السماء بمائة نبوءة، والذي ستكون الآلهة مغدقة لمعجزاتها له، ثاني القياصرة، وأول البشر، هو أغسطس، هو الذي ستعيد يداه القويتان إلى اللاتيوم، بعبقريته العصر الذهبي الباهر للعصور القديمة من أوسونيا إيطاليا؛ إلى الغرامنت الأسود، والأفارقة السمر، والأطلس الذي يحمل السماء المتلألئة."[2].

4- بلين الكبير:

يذكر بلينوس الكبير في كتابه الخامس من التاريخ الطبيعي: "...ثم تأتي منطقة غابات يسكنها عدد كبير من الوحوش البرية وفي الداخل مناطق منعزلة تعيش فيها الفيلة، ثم تأتي صحار شاسعة وخلفها تقع منطقة الغرامنت التي تفصلها عن أوجيلا مسيرة 12 يوما مشيا عن الأقدام"[3].

يقول أيضا:" على هذا الطريق تقع بلاد فزان مواجهة لصحاري أفريقيا، التي تحدثنا عليها سابقا، في السرت الصغير، هناك قهرنا أمة الفزانيين ومدن وليلي وكيلابا وكيدامس المقابلة لصبراته..."[4].

[1] - Strabon, Geographie, XVII, III, 19, Tr: Amédée Tardieu, Hachette, Paris, 1867.
[2] - Vergile, l'Eniède, V, 9997-10005, Tr: L'Abbé Delille, Paris, 1990.
[3] - Pline L'ancien, Histoire Naturelle, V, 4, 1, Tr: Dubochet, Ed: d'Émile Littré, Paris 1850.
[4] - Pline L'ancien, Histoire Naturelle, V, 5, 5.

....خلف هذا الجبل الأسود تقع صحاري مدينة ماتيلجا، مدينة الغرامنت، ومدينة ديبريس والتي يوجد بها نبع تغلي مياهه من الظهر لمنتصف الليل، وتتجمد من منتصف الليل حتى الظهر، ومدينة جرمة الشهيرة عاصمة الغرامنت، كل هذه المواطن خضت للاحتلال الروماني حيث انتصر عليها كورنيليوس باربوس، وهو الأجنبي الوحيد الذي نال عربة النصر وحق المواطنة"[1].

يواصل بلين وصفه قائلا: "... حتى الآن لا يوجد طريق مسار متبع يؤدي إلى الغرامنت حيث يقوم الغرامنت بتغطية الآبار التي يمكن العثور عليها لاحقا بكل سهولة لكل من يعرف مكان الآبار..."[2].

[1]- Pline L'ancien, Histoire Naturelle, V, 5, 6.
[2]-Ibid, V, 5, 7.

الفصل الثاني: الحياة السياسية والاقتصادية

أولا: النظام السياسي

1- الحكم السائد

2- الجيـــــش

ثانيا: النظام الاقتصادي

1- الصيد وتدجين الحيوانات

2- الزراعة ونظام الري (الفَجَارات)

3- الصناعة

4- التجارة

الحياة السياسة والاقتصادية:

أولا: النظام السياسي

1- الحكم السائد:

ساد النظام القبلي عامة المجتمعات الليبية، وقد دلت على ذلك النصوص المصورة في الآثار المصرية، بالإضافة إلى ما جاءت به الكتب الكلاسيكية، ويرجح انتشار هذا النظام إلى اعتماد هؤلاء القبائل على الزراعة المحدودة والرعي في حياتهم اليومية، ولعدم وجود مصدر ثابت للماء والكلأ اضطروا للتنقل باستمرار وعدم الاستقرار بحثا عن الأرض الخصبة قد كانت كل قبيلة تتنقل مع بعضها البعض[1].

عرفت جرمة في حكمها نظاما ملكيا غير مطلق، حيث الملك على رأس السلطة التنفيذية ويتم انتخابه من طرف مجلس شيوخ للقبيلة وهم الرجال الكبار في سنا وحكمة في المجتمع، ويجتمع هذا المجلس مرة كل ثلاثة أشهر[2].

الملك هو زعيم القبيلة وقائد الجيش والكاهن الأعلى ويملك جميع السلطات الدينية والدنيوية، أما رؤساء القبائل من طبقيتين؛ رؤساء كبار ورؤساء من مرتبة أدنى، حيث يتوج أصحاب الطبقة الأولى بريشتين أما أصحاب الطبقة الثانية فلهم ريشة واحدة فقط، وفيما يخص مسؤوليات وامتيازات الملك فلم يأتي على ذكرها[3] وتظهر الشواهد الأثرية المصرية أنهم كانوا قادة في الحروب ومستشارين للاتحاد القبلي وفي أوقات السلم تتضاءل سلطتهم[4].

يرأس القبيلة رئيسان فيقوما على شؤونها وفق نظام حكم ديمقراطي، حيث تختار القبيلة زعيمها بنفسها ولا يخضع الحكم للوراثة، ويشترط في هذا الشخص أن يتحلى بصفات تميزه عن غيره من العامة مثل الصدق والحكمة، وتتمثل شارات الحكم في ريشة النعام وجناحي الطائر والرداء الطويل المزركش[5]. وقد جاء في الإنيادة على لسان صاحبها فرجليوس أنه كان هناك نظام في جرمة بقيادة الملك هيرباص الذي شيد هو ومن سبقه معابد الإله آمون في مملكته الشاسعة[6].

---

[1] - العقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع 7، يناير 2006، ص 2.

[2] - مصطفى كمال عبد الحليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، دس، ص 8.

[3] - البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصـــــــور حتى الفتح الإسلامـــي، ج1، تامنغست، دس، ص 88.

[4] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 148.

[5] - العقون أم الخير، المرجع السابق، ص3.

[6] - فرجيليوس، الإنيادة، تر: شعراوي عبد المعطي، المركز القومي للترجمة، 2010، ج1، الفقرة 200، ص 208.

إداريا يتلقى حكام الأقاليم الأوامر من الملك ويقدمون له الضرائب وينفذون أوامره فهم نواب الملك في أقاليمهم يشاركون معه في حروبه ولكل حاكم منهم قصر وجبانة خاصة به وبأفراد عائلته وكانت قصورهم تدل على مكانتهم الرفيعة زلا زلت بقايا قلاعهم متناثرة في واحات فزان إلى اليوم[1].

2- الجيش:

عرف الغرامنت نظام الجيش والتسليح، يتكون من والمشاة الفرسان وينقسم بدورهم قسمين هما: راكبي الخيول وراكبي العربات، أمّا أسلحتهم فتمثلت في السيوف والرماح وكانت لديهم فرقة خاصة تقوم بطمر الآبار وسّد الطرق في وجه العدو، وذلك لقطع خطوط التموين وهذا يدل على قوة جيش مملكة الغرامنت وقدرته على محاربة جيش الرومان مدة تزيد على قرن من الزمن حروباً متواصلة استطاع فيها دحر الرومان وهم على أبواب جرمة سنة 19 قبل الميلاد، وتمكن من قلب المعركة على العدو في 70م[2].

ثانيا: النظام الاقتصادي

1- الصيد وتدجين الحيوانات

1-1 الصيد:

امتهن الغرامنت الرعي وتربية الحيوانات بعد الصيد حيث كان في الفترة سابقة لفترة الزراعة عندهم، ويدل على ذلك إشارة هيرودوت إلى وجود الحيوانات البرية في المنطقة[3]، فقد كانوا يصطادون الغزلان والودان (نوع من الماعز الجبلي) والزرافات ويأكلون لحومها كغذاء[4]، بالإضافة إلى امتلاكهم الأبقار ذات القرون المقوسة والتي ترعى إلى الخلف[5]، وهذا ما أكدته النقوش الأثرية و الرسومات الفخارية الموجودة في المنطقة حيث دلت هذه الأثار على وجود هذا النوع من الأبقار في منطقة الغرامنت إلى جانب حيوانات أخرى كالفهود التي كانت موجودة بكثرة ودلت عليها لوحات الفسيفساء وكذا العديد من النصوص التاريخية التي توضح صيد الفهود[6].

---

[1] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص-ص-158-159.

[2] - نفسه، ص161.

[3]- Hérodote,Histoire d'Hérodote, IV, 183, Tr: Larcher, Ed. A. D. Godley, Cambridge, 1920.

[4] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص82.

[5]- Hérodote,Histoire, Loc-cit, IV, 183.

[6]- Stéphane Gsell, Hérodote, Textes Relatives à l'Afrique du nord, Ed Adolphe, Alger ,1915, p122.

ربى الغرامنت أنواع كثيرة من الحيوانات الأليفة أهمها الكلاب التي تستعمل للصيد[1] كذلك أوضحت المصادر أن الكثير من القبائل الليبية كان غذاءها الأساسي يعتمد على قطعان الماشية، حيث الاستهلاك الزراعي عندهم كان محدود وذلك لكثرة الخيول والأبقار والماعز والخراف التي وجدت عند كل القبائل الليبية بما فيها الغرامنت[2] الذين امتهنوا الرعي وتربية الماشية واستعملوا الحمير كوسيلة للنقل قبل ظهور الخيول واستبدالهم بها للنقل والتنقل في زمن العربات المزدوجة أو الرباعية التي تجر بأربعة خيول أو حتى اثنين في بعض الحالات[3]. ولأهمية الخيول عندهم كانوا يقيمون لها احتفالا كبيرا لغرض التعشير يحضر فيه الملك بذاته[4]، كما دلّت الكشوفات الأثرية في وادي الآجال على تربيتهم للخنازير إلى جانب الخراف والماعز والكلاب والأبقار والحمير والأرانب[5].

1-2- تدجين الحيوانات:

كانت البدايات الأولى للتدجين أثناء عمليات الصيد نتيجة احتكاك السكان لزمن طويل مع الحيوانات التي يصطادونها وبعد أن رأى الأنسان فائدتها اهتدي إلى أنه أصبح من الضروري تدجينها، ولأنهم كانوا يحتفظون بها لأيام ولأسابيع عديدة حدث نوع من التعايش بينهم وبينهما حيث قاموا بالاحتفاظ بصغارها ووفروا لهم الظروف المعيشية الملائمة (ينظر الملحق رقم 11، ص 69)، وبهذا صارت بعض الحيوانات لا تستطيع الاستغناء عنهم، ومن هنا عرف التدجين[6]، ومن أهم الحيوانات التي قام الغرامنت بتدجينها؛ الحمير والأبقار والماعز والخيول والجمال[7].

أكدت الحفريات في زِنككرا عن وجود بقايا عظام لهذه الحيوانات، وكذا تشير العديد من المشاهد إلى التدجين[8] وظهرت الماشية المدجنة على النقوش المحفورة في عدة مواقع، وهي منتشرة بشكل خاص في موقع التاسلي آجر في الغرب من فزان[9] كما صور الغرامنت

---

[1] – Stéphane Gsell, op-cit, p122.

[2] - صلاح الدين أحمد زارم، مصادر الاقتصاد الليبي قبل الاستعمار الإغريقي، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، ع7، 2011م، ص 210.

[3] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 81.

[4] - محمد الأمين الماعزي، حضارات الصحراء سكان فزان دراسة وصفية قديما وحديثا، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2003م، ص 127.

[5] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 82.

[6] - رمضان عبد الرزاق مختاط إبراهيم وآخرون، الزراعة والثروة الحيوانية في المملكة الجرامنتية، مجلة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية، جامعة بنغازي، ع3، مارس2025م، ص211.

[7] - صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2016م، ص190.

[8] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص81.

[9] - بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب القديم، تر: الهادي بولقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريوش، بنغازي، 1988م، ص49.

على الرسوم الصخرية مشهد لقطيع كبير من أبقار في تشونيت في منحدرات الأكاكوس وإلى جانبهم شخص يحلب بقرة وهذا بعد تدجينها للاستفادة من حليبها، كما عثر على بقايا عظام بقرية مدجنة حيث أشارت بعثة الأبحاث الأثرية الإيطالية بالمنطقة إلى أن تدجينها قد تم محلياً[1].

استخدم الغرامنت الحمير للتنقل عبر الصحراء ونتيجة للجفاف وندرة الأمطار استبدلوها بالخيول التي ظلت تلعب دورًا هاماً في النقل والتنقل وبفضلها كانت السيادة لهم على الطرق التجارية[2] وكان الحصان يُصَوَّر في الرسوم الصخرية إمّا منفردًا أو مركوباً أو يجر عربة مع حصان آخر أو مع ثلاثة أحصنة[3]، كذلك يستخدمها أهل جرمة الجمال ذات الأجسام القوية القادرة على تحمل العطش وقسوة الصحراء وظهر الجمل بكثافة في رسوماتهم وغالبا ما كان يركبه رجل أو يقوده كما ظهر في مشاهد المعارك إلى جانب الخيول والحيوانات الأخرى[4].

يتفق الباحثون في أن الكلاب هي أول الحيوانات التي تم تدجينها من طرف الإنسان واسْتُعْمِل في الصيد للقبض على الطرائد وتتلخص طريقة تدجينه في تردد بعض الكلاب البرية الصغيرة على أماكن سكن الصيادين لتقتات على بقايـــا طعامه ونتج على هذا التقارب ترويض الكلاب[5] والعلاقة بين الإنسان والكلب علاقة منفعة متبادلة لاستطاعة الكلب تتبع أثر الصيد بما يملك من حاسة دقيقة في السمع والشمّ وبالمقابل يقوم الإنســـان بإطعامــه والاعتناء به[6] .

2- الزراعة ونظام الري:

2-1 الزراعة:

موطن الغرامنت إقليم واسع شمل مساحات شاسعة من الأراضي وقد أشار هيرودوت إلى أنهم كانوا يزرعون الأرض الملحية بوضع طبق من التراب عليها[7] وهذا ما يدل على أنهم عرفوا الزراعة منذ زمن طويل رغم عدم صلاح أراضيهم، وهذا ما سهل استقرارهم

[1] - رمضان عبد الرزاق مختاظ إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص211.
[2] - نفسه، ص 212.
[3] - محمد علي عيسى، ليبيا خلال العصر الحجري الحديث، مجلة الجديد، ع4، 1999م، ص62.
[4] - لخضر بن بوزيد، الجمل فيما قبل التاريخ الشمال الافريقي، مجلة الأثار، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013م، ص 4.
[5] - صندوق ستي، المرجع السابق، ص-ص191-192.
[6] - رالف لنتون، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ج1، تر: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، 2010م، ص 150.
[7] - Hérodote,loc-cit, IV, 183.

فقد حولوا المناطق الصحراوية قاحلة إلى واحات شاسعة من النخيل[1] وغرسوا إلى جانب الخضروات والفاكهة القمح والشعير والكروم واللوز والرمان والتين والرمان والزيتون[2] إلا أن أشجار النخيل هي أهم المزروعات من الناحية الاقتصادية حيث يتراوح عددها من المئات إلى الآلاف الواحات الكبرى[3] ويذكر بلين أن الأنحاء الداخلية في بلاد الغرامنت مكسوة بأشجار النخيل حيث تمتاز بتمور كبيرة الحجم وطيبة المذاق[4] على عكس ما ذكر ديودور الصقلي:" أن تمور ليبيا الداخلية صغيرة وجافة"[5] فقد كشفت الأدلة الأثرية إلى أن المساحة المزروعة تزيد عن 130 كلم[6].

استوطن الغرامنت، وادي الآجال الذي كان يختلف عن باقي الصحراء التي أصابها الجفاف حيث كانت له بيئة مختلفة قديمًا من ناحية المناخ مما هو عليه اليوم حيث تكثر فيه الأعشاب والأشجار وكان الوادي يحتوي على مخزون ماء كبير وقريب من سطح الأرض بالإضافة إلى الكثير من العيون الجارية بغزارة والمستنقعات والبحيرات المائية التي ساعدت على وجود المراعي الصالحة للرعي ولتربية الحيوانات[7].

2-2 نظام الري (الفجارات):

الفجارات هي قنوات تحت تشق تحت الأرض تستخدم لنقل المياه من المصادر الجوفية إلى الأراضي الزراعية، ويعد نظام الري هذا من أبرز الابتكارات في مجال استهلاك المياه في المناطق الصحراوية، وتوزيعه عبر قنوات محفورة تحت الأرض خوفاً من تبخره بفعل الحرارة المرتفعة في جو الصحراوي (ينظر الملحق رقم 10، ص68)، وأدى هذا إلى إنشاء واحات زراعية في أودية فزان نتج عنها مراكز مأهولة بالسكان[8]، وطريقة عمل هذه الفجارات تكون بأخذ الماء من الجوف وإيصاله إلى الأجزاء السفلية من الوادي بواسطة نفق قليل الانحناء وتزود بفتحات تهوية رأسية تشبه البئر متباعدة على مسافات متساوية مهمتها

---

[1] - بن عطيا الله عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 36.

[2] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص80.

[3] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 77.

[4]- Pline L'ancien, Histoire Naturelle, XIII, 3, Tr: Dubochet, Ed: d'Émile Littré Paris, 1850.

[5]- Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, ii, 53, 5, Tr: Terrasson, Ed: Adolphe Lib, Paris, 1851.

[6] - عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م، ص-ص57-58.

[7] - مبروكة سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص112.

[8] - توفيق مسعود راشد، التقنية العلمية لأنظمة الري في فزان قديماً(الفجارات)، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، ع3، مج20 ،2021، ص33.

(الفتحات) تهوية النفق أثناء الحفر وكذا إزالة الأوساخ، كما تسمح لعدد من فرق الحفر العمل في وقت واحد بالإضافة إلى تنظيف الأنفاق من أثار الردم[1].

تسمى الفجارة بمسميات أخرى "فلج"، "قناة"، وكذلك "فقارة"[2]، حيث كان هذا الأسلوب في الري منتشراً في العديد من أماكن العالم القديم الجافة، وفي كل مكان كانت لها تسمية خاصة، ويرجح أن أول من ابتكر نظام الفجارات بلاد فارس، ثم انتشرت في عدة حضارات أخرى، ومنها مملكة جرمة، وكان ذلك قبل مجيء الرومان إلى بلاد المغرب القديم، إذ دلت التنقيبات الأثرية الحديثة على وجود مائة ألف نفق في وادي الآجال، يصل عمق الواحد منها إلى أربعين متراً كانت تستغل في ريَّ مساحات هائلة من الأراضي الزراعية باستعمال خمسمائة وخمسون فجارة، مما ساهم في وفرة الانتاج الزراعي[3] هذا ما تم إحصائه عن طريق صور جوية، ولكن كشفت الدراسات على الأرض المزيد من الفجارات غير المرئية في الصور، وتم رصد العديد منها إلى الشرق من مرزق كذلك وفي واحة أم العبيد شرق فزان، وفي واحة الجفرة ووادي الشاطئ، وهناك من ارتبط وجودها بمواقع سكنية غرامنتية معروفة وهامة[4].

يتطلب بناء الفجارات عدد كبير من الأيدي العاملة التي تعمل باستمرار طوال السنة ودون توقف ومن الممكن أن الغرامنت قد اعتمدوا في بنائها على حفار القنوات المتخصصين وذهب آخرون إلى أنهم استخدموا العبيد في ذلك فقد كانوا يصطادون التروجلوديت (الإثيوبيين) واستخدموهم لهذا الغرض[5].

3- الصناعة:

لم تكن في جرمة صناعات كثيرة ووفيرة الإنتاج إنما كانت على مستوى محلي حيث صنعوا الحلي بأنواعها من الذهب والفضة[6] والأحجار الكريمة كالفيروز والعقيق الأحمر[7] وكانت الصناعات الأخرى موجهة للاستعمال المحلي للسكان ما عدا القليل منها كالملابس ومتطلبات السكن ومواد البناء[8]، أما الصناعات الفخارية التي كانت هي الأخرى موجهة لاستهلاك المحلي والتي دلت اللقى الأثرية بسانية جبريل عليها والمتمثلة في أواني فخارية وأفران خاصة بشي الفخار، حيث قلدوا القوارير والمزهريات الإغريقية بالإضافة إلى

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 78.
[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 166.
[3] - توفيق مسعود راشد، المرجع السابق، ص 33.
[4] - مبروكة سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص-ص118-119.
[5] - رمضان عبد الرزاق مختاظ إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص209.
[6] - الطيب محمد احمادي، الحضارة الليبية بالجنوب الليبي، (إقليم فزانيا)، جامعة قاريونس، ص15.
[7] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص214.
[8] - الطيب محمد احمادي، المرجع السابق، ص15.

المصنوعات الحديدية[1]، رغم عدم التعرف على أماكن وجود الحديد المستعمل في صناعتها على أراضي مملكة جرمة ويرجح بأنهم حصلوا عليه من مناجم سرديلس قرب غات ووادي الشاطئ وهي تقع في طرق القوافل التجارية[2].

عرف الغرامنت الصناعات الدوائية كذلك، حيث استخدموا سُمَّ العقارب كعقاقير لبعض الأمراض، كما عرفوا الطرق الوقائية من سموم الأفاعي والحيات[3].

4- التجارة:

احتلت مملكة الغرامنت قديما موقع استراتيجي يربط بين الشمال والجنوب الليبي القديم، والذي أدى إلى أن يكون لها دورا فعالا في العديد من العلاقات التجارية، فهي همزة وصل بينهما، وهي وسيط بين هذين العالمين كذلك خاصة في مجال التجارة[4] حيث سيطر هؤلاء على الطرق التجارية في الصحراء الرابطة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وتمر القوافل التجارية من خلال شبكة من الطرق انطلاقتها من العاصمة جرمة تتجه شمالا أو جنوبا وهي من أهم الطرق لقصرها خاصة وان الواحات والقلاع والحصون الجرامنتية توفر المياه والامدادات للقوافل[5].

اعتمدت التجارة في مملكة جرمة على العديد من المقومات نذكرها كالاتي:

4-1 الطرق التجارية:

لابد أن المسالك الصحراوية قديماً كانت محفوفة بالمخاطر والوعورة الأمر الذي أدى بالقوافل إلى الاعتماد على أهل المنطقة في اجتيازها لمعرفتهم الجيدة بها وللتزود منهم بالماء والمؤونة خلال سفرهم قد دلت الرسوم الصخرية في فزان على وجود حركة تجارية مبكرة بين مختلف المناطق وذلك من خلال نقوش والرسوم نجد عربات من أنواع مختلفة منها التجارية (ينظر الملحق رقم 15، ص74)، حيث كشفت المصادر أن جرمة اعتمدت على الرجال الأدلاء وهؤلاء مهمتهم قيادة القوافل حتى لا تضيع في الصحراء حيث كان الغرامنت يقومون بطمر آبار المياه الواقعة في الطرق المؤدية إلى مملكتهم[6] ولكنهم جعلوا محطات برية تحط القوافل بها الرحال للاستراحة والسقيا ثم تطورت هذه المحطات لتصبح مراكز

[1] - عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص57.
[2] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 84.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 170.
[4] - أسامة محمد مهدي قجالي وابن علال رضا، الحركة التجارية في بلاد المغرب القديم التجارة الجرمنتية نموذجاً، مجلة الباحث، مج16، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2024 ، ص 897.
[5] - مبروكة سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص-ص119-120.
[6]- Tacite, Les Annales, iv ,2-3, Tr: M. Charpentier, Ed Garnier, Paris, 1900.

تجارية وحتى مدينة غدامس مثلا حيث هذه المناطق لسفر الدواب والعربات لأنها صخرية تمتد من الساحل إلى جرمة ومن تبستي شرقا إلى الطاسيلي غرب[1] تتمثل هذه الطرق في:

- ✓ الطرق المتجهة من جرمة نحو الساحل وهي ثلاث طرق أولها طريق من العاصمة جرمة إلى أدرى يمر عبر صحراء أوباري ومنها إلى غدامس ثم إلى طرابلس وثانيها طريق من جرمة كذلك إلى تكرتيا إلى صحراء أوباري ثم إلى واحات الداودة ثم إلى برجن ثم زجرة ومسعودة إلى الشويرف إلى غريان لنصل إلى أويا أما الطريق الثالث فينطلق كذلك من جرمة ويتجه إلى شرق وادي الآجال نحو سبها ثم إلى دباب ومنها عبر وادي زازامت إلى جزرة ثم لبدة[2].
- ✓ الطريق المتجه من جرمة نحو المناطق الصحراوية الواقعة إلى جنوب منها كالطريق الرابط بين جرمة وبين بحيرة تشاد والطريق الذي يصل جرمة بتساوا وضفاف حوضر نيجر وطريق آخر يصل جرمة بالسودان[3].
- ✓ طرق ثانوية ربطت فزان بحضارات مجاورة كالطريق الذي يربطها بمصر وطريق آخر يتجه نحو مدينة قورينة الإغريقية إلى غاية أوأوجيلة وسيوة[4].(ينظر الملحق رقم 02، ص61)

2-4 القلاع والحصون:

لتأمين القوافل قام الغرامنت بتشييد الكثير من الحصون والقلاع على مسافات من طرق القوافل وذلك من أجل حمايتها ولتكون نقاط استراحة وللتزود بالماء والغذاء وبالإضافة إلى كونها نقاط مراقبة وتفتيش للإشراف والحفاظ على التجار وقوافلهم[5]، وتدل الحفريات في فزان على أن حصن إغرام نظاريف بني في القرن 5 قبل الميلاد، وظل نشط حتى القرن 14 ميلادي، وأنشأ لهذا الغرض، كذلك يوجد ثلاثة حصون تزامنت معه وهي محفوظة بشكل جيد لليوم، اثنان منها على طول الوادي أويسس والثالث في جنوب تانيزوفت كذلك نجد تأسيس حصن غات الذي تطور ليصبح مركزا للتجارة جنوب الصحراء[6] كان في بادئ الأمر بهدف تأمين القوافل من الأخطار ويقع في الحد الجنوبي لمملكة جرمة كذلك حصن فلاتيرس

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 172.

[2] - ذهبية سي الهادي، دور الجرمنت في التجارة الصحراوية في بلاد المغرب القديم، مجلة المحترف، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مج 10، ع4، الجزائر 2023 م، ص287.

[3] - نفسه، ص 288.

[4] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 174.

[5]- Mahir Ihaab Amar Abd salam, the Garamamtes tracters of the desert Route educational and licial, science journal,v (7) , 2020, p173.

[6] - Ibid, p173.

كان بهدف السيطرة على الطريق الجنوبي الغربي المتجه نحو النيجر وإلى غير ذلك من الحصون فقد أقام الغرامنت حصونهم وقلاعهم في المناطق المتوفرة على المياه[1] ويدل الانتشار الكبير لهذه القلاع في أرض الغرامنت دليلا على كون هؤلاء هم الوسطاء الفاعلين في نقل تجارة الشمال إلى الجنوب والعكس بالعكس[2].

4-3 الصادرات والواردات:

4-3-1 صادرات مملكة جرمة:

انقسمت الصادرات إلى نوعين هما المنتوج المحلي وهي السلع تنتج داخل أراضي الجرامنت يصدرون الفائض منها على الرغم من قلتها وسلع يستوردونها من مناطق أخرى يعاد تصديرها إلى خارج مملكتهم بعد الاحتفاظ بما يحتاجونه منها[3] ومن أهم الصادرات:

- **العبيد:** عرفوا هذه التجارة منذ وقت مبكر حسب ما جاء على لسان هيرودوت بأنهم قوم كثير العدد يطاردون سكان الكهوف بعربات تجرها أربعة خيول[4] وذلك لجلبهم كعبيد للخدمة في البيوت والمزارع ولكن الجزء الأكبر منهم يتم بيعهم في الأسواق الخارجية وهذا ما دعمّته الرسوم الصخرية التي جسدت مناظر العربات وهي تطارد التروجولديت (الأثيوبيون) في تين نازرافت وأم أنوامي بجبال التطاسيلي[5].

- **بيض النعام وريشه**: من أقدم السلع التي تاجر بها الغرامنت مع من جاورهم حيث كانت مطلوبة في كل العالم القديم وقد كانوا يصنعون منها الأكواب والأوعية من جلد النعام[6] لوفرة وسهولة اصطياد هذا الطائر حيث يذكر هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد أن النعام يكثر في بلاد الليبيين[7] كذلك وصف بلين طائر النعام عندهم قائلا:" طيور النعام الليبية والإثيوبية يتعدى طول رجل فوق صهوة جواده، وتتفوق عليه أثناء السباق"[8].

---

[1] - أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1993م ص-ص 169- 171.

[2] - ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص288.

[3] - فاطمة سالم العقيلي، الصادرات الجرمنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة السيد محمد بن علي سنوسي، كلية التاريخ والحضارة، ع3، 2019م، ص78.

[4]- Hérodote, Histoire , loc-cit, IV, 183.

[5] - فاطمة سالم العقيلي، المرجع السابق، ص79.

[6] - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص118.

[7]- Loc-cit, IV, 183.

[8] - بلين الكبير، التاريخ الطبيعي، تر: الذويب محمد المبروك ،منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي ،2019 ،الكتاب الخامس الفقرة3.

- **العاج:** اهتم التجار الغرامنت بجلب الفيلة عن طريق صيدها وعن طريق التبادل التجاري وتذكر المصادر أنه كان لديم فرقة خاصة بترويض الفيالة ونقلها شمالا إلى المدن الثلاث حذية يتم استخدامها في الاستعراضات وللحصول على العاج الذي هو باهض الثمن[1].

- **الملح**: تعود معرفة الجرام للملح إلى الألف الأولى قبل الميلاد حيث ذكر هيرودوت:" إنه بعد مسافة عشرة أيام مسير من واحة أوجلة يوجد تل ملحي آخر وماء وأشجار نخيل كثيرة ومثمرة... وبشر يسكنون هذا المكان يسمون بالجرميين وهي أمة بالغة العظمة يا يزرعون التربة بعد أن يبسطوها فوق الملح"[2]، فالقوافل إذا نقلت الملح بواسطة الثيران والحمير بداية من القرن الثالث قبل الميلاد داخل اسطوانات بيضاء يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أقدام ويتم استخراجه من بحيرة في شمال شرق مدينة جرمة[3].

- **أحجار الكربونيل:** أو ما يسمى بالحجر القرطاجي لأنهم أكثر من تاجر به فنسب إليهم وقد أثبتت المصادر الأدبية على معرفة الليبيين بالأحجار الكريمة ومتاجرتهم بها حيث قال سترابون:" إنه من خلال جرمة يجلب القرطاجيون الأحجار الكريمة"[4]. أكد المؤرخ والأثري أيوب سليمان أن أحجار الكربونيل هي ما يعرف اليوم بالفيروز الأخضر ويستخرج من المنطقة الممتدة من وادي الناموس والوادي الكبير وذلك استناد إلى نتائج البعثة الفرنسية للتنقيب عن الأثار والتي عثرت على محاجر للفيروز الأخضر في منطقة الجرامنت[5].

2-3-4 الواردات الغرامنتية:

قام الغرامنت باستيراد كل ما احتاجوه ولم تكن لهم القدرة على صنعه وذلك لاستهلاكه محليا أو للتصدير إلى غيرهم حيث جلبوا من أسواق موانئ البحر المتوسط الزيوت والخمور معبئة في الإمفورات (جرارة كبيرة) الكبيرة بالإضافة إلى المنسوجات المختلفة والأسلحة الحديدية والفخار بعدة أنواع منها ما هو للاستهلاك ومنها للتجارة حيث عثر في جبانة سانية بن هويدي الواقعة قرب جرمة على أعداد كبيرة من مختلف أنواع الفخار منها إمفورات الاسكندرية وقوارير من صنع قرطاجي كذلك استوردوا من الجنوب العديد من السلع مثل الحيوانات كالفيلة مثلا والملح والعبيد[6].

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 177.
[2] - هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 183 ، ص62.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص181.
[4] - سترابون ، الجغرافية ، تر: الذويب محمد المبروك، الكتاب السابع عشر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003،الفصل 3، الفقرة16.
[5] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص ص 215-216.
[6] - نفسه، ص ص 211-212.

4-3-3 وسائل النقل والنقد:

- **الثيران** استخدمت الثيران في القديم للنقل والتنقل وذلك قبل عصور الجفاف وبالتالي فهي أقدم وسيلة استعملها الغرامنت في التنقل بتجارتهم[1].

- **الحمير:** كانت كثيرة الاستعمال في عبور الصحراء[2]، حيث كانت قوافل الغرامنت تتكون من أعداد كبيرة منها[3].

- **الحصان**: جسدت الرسوم الصخرية في عدة أماكن رسوم لعربات تجرها الجياد مما يدل على أن استعمال الحصان كان مبكراً[4] في التجارة خاصة واستمر استعمال الخيول في التجارة حتى القرن 2ميلادي ثم استبدلت بالجمل الذي كان يستطيع تحمل الجفاف الذي أصاب المنطقة وكذلك تحمل مشقة سفر المسافات البعيدة بين نقاط التزود بالمياه والحمولات الكبيرة[5].

- **النقد:** يعتقد المؤرخون أن الغرامنت استخدموا في تجارتهم نظام المقايضة حيث كانوا يستبدلون العبيد بالملح مثلاً وذلك لعدم معرفتهم للعملة لكن الأمر فيه مبالغة فربما كان هذا في وقت مبكر خاصة في معاملاتهم التجارية مع قرطاجة والمدن الثلاث ثم مع الرومان لاحقاً والدليل هو وجود صناعة تعدينية في جرمة من الذهب خاصة أنه تم العثور في حفريات جرمة على قطع عملة نقدية[6].

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 175.

[2]- Hérodote, Histoire d'Hérodote, II, 32-33.

[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 175.

[4] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص30.

[5] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 210.

[6] - نفسه، ص 213.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والدينية

أولا: النظام الاجتماعي

1- الأسرة والنظام الطبقي

2- السكن

3- اللباس والريشة

4- الوشم وتصفيف الشعر

ثانيا: الحياة الدينية

1- مراحل تطور الديانة الغرامنتية

2- أنماط المقابر الجنائزية

3- طقوس الدفن

الحياة الاجتماعية والدينية:

أولا: النظام الاجتماعي

1- الأسرة والنظام الطبقي

أشارت الدلائل التاريخية والأثرية إلى العدد الكبير لكل عائلة من الأولاد والبنات وبينت أيضا سبب ذلك، وهذا راجع إلى أن الغرامنت يتخذون عددا كبيرا من النساء زوجات لهم، وهو ما يوضح كثرة سكان فزان قديما إذ تبين أعداد قبور النساء المتفوقة بكثير مقارنة بقبور الرجال في الجبانة الملكية أن الملوك يتزوجون بعدد كبير من النساء وهي عادة مألوفة عند القبائل الليبية قديما[1]، ولهذا فإن للمرأة قيمة كبيرة ودرجة مرتفعة في المجتمع مساوية لدرجة الرجال، ويظهر هذا جليا في المقابر الفخمة التي أقيمت لهن في المقبرة الملكية وفي الأدوات التي عثر عليها معهن خاصة الحلي الفاخرة، وبهذا نستبدل إلى أنها كانت متساوية في المكانة مع الرجل[2] ولا أدل على ذلك أن زعيمة الآلهة عندهم أنثى والمتمثلة في الآلهة تانيت وهو دليل على المكانة المرموقة التي حضيت بها المرأة في المجتمع الغرامنتي، ومع هذا ظل المجتمع بقيادة الرجل في جرمة فهو الذي يقوم بالأعمال الشاقة كالحروب والتجارة بالقوافل بينما تقوم النساء بتربية الأبناء ورعايتهم وبالأعمال المنزلية والخدمة في الحقول[3].

عرف المجتمع الغرامنتي نظام اجتماعي خاص به حيث يكون الفرد فيه تحت سلطة أسرته أولاً ثم القبيلة ثانياً ثم وطنه ثالثاً، فكان لكل فرد من المجتمع أسرة وأبناء معروفين لديه ولدى الجميع[4] أي أن كل فرد معروف النسب والهوية، وقد جاء على لسان هيرودوت وغيره من المؤرخين اليونان أن الليبيين كانوا يمارسون الاختلاط الجنسي وذلك بمبدأ شيوعية النساء[5] وهذا غير صحيح فمن المعروف أن الليبيين لديهم عادة تعدد الزوجات والتي يجهلها هؤلاء المؤرخين لعدم وجودها في بلدانهم[6].

تطور المجتمع في مملكة جرمة ونمى وأزدهر وانقسم كأي مجتمع إلى طبقات اجتماعية مختلفة، أولها الطبقة الحاكمة وتتكون من النبلاء والتجار وحكام الأقاليم وأعوان الملك ولهم مكانة مرموقة ويتمتعون برفاهية العيش[7]، ثم تأتي طبقة أصحاب الحرف والمهن

---

[1]- Strabon, Géographie, XV, II, 2.

[2] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص-ص155-156.

[3]- Strabon, Loc-cit, XV, II, 2.

[4] - محمد الأمين الماعزي، المرجع السابق، ص126.

[5]- Hérodote, Histoire , loc-cit, IV, 3.

[6] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص90.

[7] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص157.

وصغار التجار ورجال الحرب وهي الطبقة المتوسطة في المجتمع[1] وأخيرا تأتي أدنى فئة والتي تتمثل في العبيد وهم الخدم الذين يقومون بالأعمال الزراعية ويخدمون سادة القصور[2].

انقسم السكان إلى بدو وحضر[3] حيث يسكن الحضر في المدن والواحات أين تتوفر الأسواق التجارية والنخيل والعيون والمزروعات مما جعل حياتهم مهيأة وسهلة، أما البدو فهم الرعاة وكانوا يتنقلون بقطعان الماشية من مكان لآخر بحثا عن الماء والكلاء[4].

2- السكن:

2-1 مستوطنة زنككرا:

استوطن الغرامنت في باديء الأمر قمة جبل زنككرا - كما أسلفنا الذكر- حيث شيدوا أول حصونهم قلعة زنككرا واستقروا بها ردحا من الزمن وقد تم العثور على بقايا أسوارها التي بلغ طولها 2 كلم، ثم انتقلوا إلى عاصمتهم جرمة تدريجيا عبر الزمن[5] واعتمادًا على المخلفات الأثرية فإن استيطان مرتفع زنككرا كان الفترة ما بين القرن9 قبل الميلاد حتى القرن الأول للميلاد وخلّفوا عددا كبيرا من المساكن والمباني استعملوا في بنائها مواد مختلفة من الحجارة والطين وهي مباني بسيطة يلتجئون إليها مع ماشيتهم[6].

تدريجيا انحدر الغرامنت من القمة إلى الحواف السفلية من الجبل وشيدوا مستوطنة أخرى جدرانها من الأحجار وبها أكواخ أسقفها من سعف النخيل ونحت مدرجات وبجانبها تنتشر المقابر ويحيط بكافة المستوطنة سور يمتد من الأطراف الجنوبية للجبل وجعل فيه فتحات لتسريب مياه الأمطار[7] وقد كانت بنايات بدائية المنشأ، حيث شيّدوا غرف متوسطة بالطوب المصنوع من الطين واستعملوا فضلات البقر لتلميع الجدران وأرضية الغرف[8].

تبلغ مساحة قمة جبل زنككرا 630 هكتار بها عدد هائل من المستوطنات بنيت على شكل صفوف، وكان الغرامنت في هذه الفترة شعب متحضر مقارنة بغيره، حيث مارس زراعات متنوعة[9] منها القمح والشعير والنخيل والكروم مع إنشاء قنوات للري قدرت بـ 60

---

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص90.

[2] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص159.

[3]- Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, v, 5.

[4] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص156.

[5] - د.ج ماتينجلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، تر: محمد الطاهر الحراري ومحمد عبد الهادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009م، ص 34.

[6] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 2001، ص 166.

[7] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص67.

[8] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص192.

[9] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص65.

قناة لكل 6 كلم من الأرض ومع تزايد الطلب على المياه وتطور الزراعة تم الانتقال تدريجياً إلى السهل وأسسوا مدينة جرمة العاصمة[1].

2-2 جرمة:

وسط وادي الآجال توجد مدينة جرمة التي تبعد على زِنككرا بـــ3,5 كلم والتي سمَّاها الرومان بحاضرة ميتروبوليس، وتمَّ الانتقال إليها من زِنككرا تدريجيا - كما سبق- وذكرنا من طرف الجرامنت الذين أصبحوا أكثر تحضرًا وتطوّر ولذلك تميزت المباني بصلابتها وتنظيمها حيث شُيِّد على أنقاض مباني الفترة الباكرة بناء صخري كبير يقع أقصى الجنوب وهو من أكثر المباني تعقيداً وتقدماً من حيث التصميم والتنظيم مقارنة بمباني زِنككرا[2].

تميّزت العاصمة جرمة بطابع عمراني خاص بها لوجود الحمامات والأسواق والمعابد فيها وتميّزت البنايات التي شيدت بها خلال القرون الأولى للميلاد باستعمال الأعمدة ذات التيجان الأيونية والدورية والكرونثية، بالإضافة إلى استعمال الأسقف الخاصة بالعمارة الإغريقية والرومانية[3].

أهم المباني في العاصمة جرمة مبنى كبير موجود في زنككرا استعمل لفترة طويلة من الزمن ثم تم تجديده في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وتعتبر سانية جبريل مستعمرة رومانية حيث بها مباني منظمة بها وحدات سكانية صغيرة مكوّنة من غرفة أو غرفتين ملتصقة ببعضها من الجانب حيث تكون مجمعات سكانية أكبر، وعثر في هذا الموقع على بقايا أحجار وقطع معدنية ومقاعد وأواني للأكل كبيرة الحجم تعود للغرامنت الذين تغيرت عادتهم في الأكل باستعمال الأثاث مما يدل على اتصالهم وتأثرهم بالرومان[4].

3- اللباس والريشة:

تقريبا كل القبائل الليبية تتشابه في اللباس بما فيه قبيلة الغرامنت، فقد سمى المؤلفون اليونانيين والرومان كل القبائل الليبية الغرامنتيين العراة ووصفوهم بأنهم يلبسون اللباس الخفيف وأكثرهم عراة إلا أن أصحاب المكانات المرموقة ارتدوا ثياب طويلة مفتوحة من الأمام مثبتة إلى الكتيفين وذلك لتمييزهم عن العامة[5]، ونرجح بالنسبة أنه قد يكون اللباس الخفيف بسبب الطبيعة الصحراوية المرتفعة درجات الحرارة في أغلب أيامها.

---

[1]- Davide Mattingly, In search of the Gramantes: Alost civilization of the Libyan Sahara, text of lecture de livered at the British Ambassador's Residence, tripoli,24 February 2000, p 49.

[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص194.

[3]- الطيب محمد أحمدي، المرجع السابق، ص17.

[4] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص-ص77.

[5] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص197.

ارتدى الغرامنت في الفترة الباكرة ملابس قاموا بصنعها من جلود بعض الحيوانات[1] كالأسود والفهود، تكون بها أهداب في أطرافها أحياناً، ثم تتطور لاحقا وتصبح فيما بعد مصنوعة من القماش المثبت بالأشرطة الذهبية للأثرياء ووجود بعض من هذه الألبسة الجلدية والقماشية في مقابر الغرامنت لأكبر دليل على ذلك[2]، أضيف فوق هذه الملابس عباءات فضفاضة ويلبسون تحت الثوب إما سترة قصيرة مثبتة عند الخصر وتمتد إلى الركبة وأحيانا لا يلبسون تحته شيء ويكتفون بشده بحزام يتدلى منه جزء مزخرف يغطي ويحمي العورة يسمى بالكرنكة أو جراب العورة[3]، أمّا لبس العباءة فلم يكن أمر محقق حيث تبين إحدى الرسوم زعيم ليبي معه حامل القوس والسيف يرتدون العباءة، أمّا الثالث وهو تابع يلبس الكرنكة فقط، كذلك تظهر المشاهد أن المحاربون لا يلبسون العباءة فهم يكتفون بجراب العورة فقط ويضعون على صدروهم وأكتافهم أشرطة متقاطعة أما ملابس النساء فتمثلت في الثوب الشائع عندهم الذي يشبه التنورة الطويلة وهي متدلية من الخصر إلى تحت الركبة[4].

نأتي الآن إلى الريشة التي يستعملها الليبيون عامة والغرامنت خاصة والتي تظهر جلياً في الرسومات الصخرية بأحجام مختلفة، فقد اختلفت الآراء حول ماهيتها ومدلولها فاعتبرها البعض تعبّر عن النطاق الجغرافي الذي يمثل غرب النيل أي منطقة الصحراء، وهذا حسب النصوص المصرية وهناك من قال أنها تعبر عن مكانة رفيعة أو وظيفة وهي من عادات أهل المنطقة المتعلقة بالقادة والأمراء، ظهرت بمواقع عديدة وعدم وجودها على رأس قائد عسكري يدل على هزيمته في الحرب، بالإضافة إلى كونها أداة للزينة ويدل على ما سبق ذكره النصوص الأثرية لمصر الفرعونية، وفي بعض الأحيان يضع الواحد منهم أربع إلى خمس ريشات[5] على رأسه أما الريشة المقوسة إلى الخلف في الرسوم الصخرية والتي ظهرت في المرحلة الأخيرة من العصر الحجري الحديث فتدل على المحاربين الليبيين وأتخذت كلها من ريش النعام لوجوده بكثرة في المنطقة في تلك الفترة[6].

عبرت الريشة عن ثقافة الليبيين عامة ومن ضمنهم الغرامنت، ولهذا نجد المصريين في القديم يشيرون إلى الجماعات التي استقرت غرب النيل وهم سكان الصحراء في الكتابة الهيروغليفية برأس يحمل ريشة[7]. (ينظر الملحق رقم 12، ص71).

---

[1] - محمد علي الدراوي، المرجع السابق، ص522.
[2] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص46.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص197.
[4] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص48.
[5] - أم الخير العقون الليبيون، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م، ص67.
[6] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص203.
[7] - نفسه، ص203.

4- الوشم وتصفيف الشعر:

منذ حوالي 3000 قبل الميلاد أكدت الآثار المصرية على وجود ظاهرة الوشم لدى المجتمعات الليبية ويكون أسفل وأعلى الذراع أو على الساق كذلك وفي كل أنحاء الجسم أحياناً، وكان الوشم لدى شعب الغرامنت مقتصراً على الرجال الزعماء ورؤساء وقادة القبائل[1] فقط أما الرسوم الصخرية الموجودة في فزان تدل على أن ظاهرة الوشم موغلة في الزمن عندهم حيث في منطقة تان زوماتيك، فلوحظ على رسم لرجال وشم على شكل نقاط متتالية مستقيمة على طرف الجسم يمتد من الصدر إلى الخصر بالإضافة إلى خط مستقيم على طول ذراعه مع نقاط تحيط على الساعد في شكل خطوط متوازية، أمّا المرأة فزُيَّينَ ذراعها بنقاط على شكل مربع مع خط بسيط على طول الذراع أمّا على جسمها فيوجد بها نقاط متوازية مائلة تمتد من صدرها حتى خصرها[2].

جاء في النصوص المصرية القديمة أن الليبيين عموماً كانوا يعتنون بجمال وأناقة مظهرهم منذ وقت مبكر حيث ظهر الرجال في الرسوم الصخرية بلحاء صغيرة مدببة وشعورهم ممشطة إلى الخلف فوق رقابهم مرات، ومرات أخرى تجدّل ضفائر صغيرة ذات أهداب متدلية إلى الأمام، وبيّنت بعض مشاهد الأكاكوس مدى اهتمام الغرامنت بمظهر حلاقتهم للشعر بشكل جميل[3].

[1] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص48.
[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص199.
[3] - نفسه، ص 200.

ثانيا: الحياة الدينية

المعتقدات الدينية ركيزة هامة في قيام الحضارات في كل زمان ومكان، والغرامنت كغيرهم من الحضارات كانت لهم معتقدات دينية تطورت عبر مراحل تطور مملكتهم.

1- مراحل تطور الديانة الغرامنتية:

1-1 عبادة القوى الطبيعية:

أهم ما ميّز هذه المرحلة من الديانة في مملكة جرمة أنها كانت تعبّر عن ما كان يراه الغرامنت للكون والحياة معاً، حيث كان يعتقد بوجود قوى خفية تتحكم في الظواهر الطبيعية[1] وأول من أخبرنا بعبادة القبائل الليبية عامة وجرمة خاصة للشمس والقمر المؤرخ الإغريقي هيرودوت قائلاً: "وهم يقدمون القرابين للشمس والقمر فقط والآن جميع الليبيين يقدمون الأضاحي لهذين الإلهين الشمس والقمر بينما الذين يسكنون..."[2]، وقد كان الغرامنت يعتقدون أن الملح يزداد وينقص بازدياد ونقصان حجم القمر وهو من السلع النادرة الباهظة الثمن عندهم[3] كذلك كانوا يقدسون رياح القبلي حيث نقل سكان واحد سيوة أيضاً أن الرياح القبلي هبّت في شكل دوامات رملية على جيش قمبيز الذي أرسل في حملة للقضاء على معبد آمون عندهم وذلك أثناء تناولهم وجبة الغذاء حيث قصتهم عليهم بالكامل[4].

2-1 العبادة الطوطمية Totémisme:

المقصود بمصطلح أوتو تيمان لغوياً أنواع حيوانات ونباتات أعطي اسمها لإله ما بغرض ديني، ويقصد بها كذلك الانتماء المشترك لجميع سكان قبيلة لطوطم معين، حيث يقدسونه ويحرمون استهلاكه ويتخذونه شعاراً لهم، ويحيكون حوله أساطيرهم المقدسة[5]، ويعتبر الكبش أهم طوطم عند الغرامنت، الذي كان له مكانة خاصة في العديد من الفترات خاصة في جرمة الباكرة والتي دلّت عليها العديد من رسومات ونقوش الكبش حاملاً على رأسه وبين قرنيه شكل كروي يرمز إلى قرص الشمس، حيث اتفق كل الباحثين على أن هذه الرسومات تحمل دلالة دينية ولكنهم اختلفوا في تفسيرها فمنهم من اعتبره مجرد قربان والراجح أن الكبش كان له صفة الألوهية لعلاقته المتينة بنمو قطعان الماشية التي هي أساس غذائهم وتربيتها من أهم الحرف لديهم[6].

---

[1] - عمران أحمد حسين الشريف، المعبودات والطقوس الجنائزية الجرامنتية وتأثير وتأثر الديانات المجاورة لها، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، مج20، ع03، قسم الآثار الكلاسيكية كلية الآثار والسياحة الخمس، جامعة المرقب، ليبيا، 2021 م، ص189.

[2] - هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 188.

[3]-Oric Bates, the eastem Libyans, franco Cassand, London, 1914, p189.

[4]- Herodote, Histoire D'Hérodote, iII, 26.

[5] - كلود ريفيير، الانثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص58.

[6] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص189.

3-1 عبادة الآلهة المجرّدة

1-3-1 عبادة الإله آمون (Ammon):

آمون من أكثر الآلهة التي تم الاختلاف في أصولها بين من يعتبره من أصول ليبية محلية ومن يعتبر أصوله من مصر الفرعونية، ولأنه تم اكتشاف العديد من معابد الإله أمون في كل من واحة سيوة وواحة أوجيلة وجنوب يوسبيريديس (بنغازي) وما كوديس وسرتا وبذلك فقد كانت عبادته منتشرة في أكثر مناطق الصحراء الليبية القديمة، مما جعل بعض المؤرخين يعتبرونه ذو أصول ليبية[1] خاصة وأن ديودور الصقلي ذكر أن الإله أمون كان ملكاً أسطورياً لليبيا[2] ويذكر هيرودوت أن قبيلة النسامون وهم بنو عمومة الغرامنت كانوا على عباد الإله أمون ويرجح أن هؤلاء انتقلت إليهم عبادة آمون من الغرامنت وليس العكس[3] وقد سبق في التحليل اللغوي لاسم غراما Garama أنه يحتوي اسم الإله آمون، وقد عثر في جرمة على تماثيل صغيرة تعود للإله آمون وهو يرتدي التاج، كما تم الكشف عن مباني لها جدران حجرية مربعة الشكل تم اعتبارها معبد له[4] .

2-3-1 المعبودة تانيت:

ذات أصول ليبية، ربة مقدسة عند كافة سكان الواحات بالصحراء الليبية القديمة، اعتبرها الفينيقيون أنها صورة لآلهتهم عشتار، فاتخذوها زوجة لإلههم بعل أمون، لكنها ظلت ليبية الأصل لم تستطع الأساطير الفينيقية من تغيير صورتها فبقيت الزوجة الليبية لزوجها الفينيقي[5] وقد عثر في وادي الآجال على شواهد قبور تعود إلى القرنين السادس والسابع قبل الميلاد بها عبارة عن رسوم ونصوص تتضمن رسوماً لقرص الشمس والهلال متجهين إلى الأسفل، وهذا اعتبره الباحثين أقدم مؤشر على عبادة تانيت في جرمة[6].

عثر الباحثون على منحوتات في زنككرا تمثل البقرة التي تحمل الشمس فوق قرنيها ويوجد رمحان متقاطعان في جسدها وهو رمز حربي يوضح سبب احتفال المحاربات في عيد تانيت بطريقة عنيفة مع لبسهن ملابس المحاربات ويحملن رمزا يمثل البقرة التي تحمل قرص الشمس بين قرنيها كعلامة حربية للنصر[7]، والجدير بالذكر أن الغرامنت لم يتبنوا المعبودات الفينيقية ولم يقدموا القرابين البشرية مثلهم كما لم يتأثروا بديانة روما[8] .

---

[1] - عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص67.

[2] -Diodore de Sicile, Bibliothéque Historique, III, 68.

[3] - هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 176.

[4] - مصطفى خاتمي ، المرجع السابق، ص206.

[5] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص190.

[6] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص208.

[7] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص ص 184-185.

[8] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص208.

2-3-1 الإله جراما (Grama):

تقول الأسطورة الإغريقية أن المعبود جارما هو ابن الإله أبولو من الأميرة أكاكاليس ابنة الملك مينوس ملك كريت وجاء فيها أن هذه الأميرة أحبت الإله أبولو وحملت منه دون زواج فاضطر والدها أن يرسلها إلى شواطئ تريبيتون دفعاً للعار حيث أنجبت ابناً سمته جاراما وهو جد الغرامنت الأول ويبدو أن عبادة الإله جراما انتقلت مع الغرامنتيين في هجرتهم إلى فزان[1]، ولأن عبادة الأجداد كانت شائعة بين القبائل الليبية القديمة فقد عبد الغرامنت جدّهم جراما[2]. (ينظر الملحق رقم 13، ص72).

2- أنماط المقابر الجنائزية:

2-1 النمط الأسطواني (الشوشات):

القبور الأسطوانية تسمى بشوشات وهي قطع أسطوانية من الحجارة العادية ذات السطح المستوي، وتوجد في موقع فجيج وفي منطقة قصر الوطواط وفي وادي الآجال والشواهد الموجودة في زِنككرا ولكن أهمها تلك التي اكتشفت في موقع جبانة سانيا بن هويدي وتعود إلى القرن الثالث ميلادي، حيث لوحظ اختلاف في أسلوب البناء دّل على مهارة وإبداع الحرفيين الغرامنت[3].

2-2 النمط الرباعي البازينا:

يزخر وادي الآجال وموطن الغرامنت بهذا النوع من المدافن والقبور المشيدة على هذا الطراز في موقع الجبانة بالملكية، حيث تتخذ شكل مربع أو مستطيل تعلوها درجتان أو ثلاثة تطلى من الخارج بطبقة من الجبس وفي سانية بن هويدي يوجد نموذج خاص متطور في عمارته إلى حد ما فهو مشيد بقوالب اللبن مثله مثل كل المدافن في سانية ولكن يظهر منه جزء فوق مستوى الأرض يبدو شكله على هيئة رباعي الأضلاع ويوجد في الجهة الشرقية للبناء جدارين قليلا الارتفاع بهما بقايا لوحة حجرية ومائدة لتقديم القرابين[4].

2-3 المدافن الهرمية:

وجدت الأبحاث الأثرية ثلاث جبانات بها مدافن هرمية الشكل في وادي الآجال يقع واحدة منها أسفل الجرف عند الشريج كما تمّ اكتشاف جبانتان عام 1959م بالقرب من منطقة الحاتية بوسط الوادي[5]، ويكون الهرم عادة باتجاه الشرق والدخول إليه يتم من هذا الجانب، وموضع المدفن يتمثل في خندق مربع يقع تحت الأرض ويغطى بكومة من الأحجار وتفن الجثة فيه في هيئة القرفصاء[6].

[1] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص196.
[2] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص-ص191-192.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص209.
[4] - المرجع نفسه، ص-ص209-210.
[5] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص 192.
[6] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 212.

4-2 ضريح جرمة:

يسمى أيضا بضريح قصر الوطواط (ينظر الملحق رقم 14)، وهو نموذج فريد يعبر عن الطراز الروماني في الصحراء الوسطى لمحاكاته لمدافن الرومان وما يؤكد ذلك شكله وزخارفه[1]، ولا يختلف عنه إلا في استخدم السقف المثلث بدلاً من الهرم، والمرجح أنه بني من طرف عمال جلبوهم من خارج جرمة وتم تشييده لشخصية محلية هامة ربما كان أحد رؤساء الغرامنت[2].

3- طقوس الدفن:

بينت الأبحاث الأثرية عدة طرق لدفن الموتى في مملكة جرمة، منها الدفن بوضعية التمدد على الظهر ووضعية الإنحاء ووضعية الجنين في بطن أمه، بالإضافة إلى وضعية القرفصاء[3]، كذلك مارس الغرامنت طقوس حرق الجثة وكان بشكل كلي أو بالحرق النصفي أو ما يسمى بالترميد مع تجهيز المدافن بالأثاث الجنائزي وهذا يدل على إيمانهم بوجود حياة بعد الموت يكون الميت فيها على الهيئة التي كان عليها قبل وفاته، ولذلك وضع الغرامنت في قبور موتاهم أطباق وأواني مختلفة الأحجام والاستعمال وأمتعة وحلي وحتى الأسلحة ليستعملها الميت في حياته الأخرى[4].

يذكر بلين الكبير أن الغرامنت كانوا يدفنون موتاهم في حفر رملية ذات عمق قليل[5] على الوضعية القرفصائية وبعد مجيء الفينيقيين إلى بلاد المغرب القديم تأثرهم بهم بعض القبائل الليبية وأصبحوا يدفنون موتاهم في وضعية التمدد واستمروا على ذلك حتى العصر الروماني، بينما واصل الغرامنت دفن موتاهم على وضعيات مختلفة أهمها الانحناء، حيث يتم وضع الميت في القبر على الأرض مباشرة في وضعية منطوية على جانبه الأيسر والمرفقين والركبتين في وضعية الانثناء والدليل على ذلك اكتشاف مسارج في مقابر غرامنتية مدفونة مع الميت تعود للقرنين الثالث والرابع للميلاد[6].

[1] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 152.

[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 213.

[3] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 89.

[4] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص 192.

[5]- Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, VIII, 142.

[6] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص 192.

يحمل دفن الميت في حالة الانثناء مدلول اجتماعي في نظر العديد من الباحثين، حيث تعبر عن حالة الراحة والنوم واستعملت لغرض حصول الجثة على الراحة الأبدية[1]. وقد تم اكتشاف أكثر من أربعين ألف ومائة ضريح قرب مدينة جرمة مما يدل على تعداد سكانها الكبير[2].

تنوعت طقوس تقديم موائد القرابين واختلف حسب شخصية الآلهة المعبودة حيث وجب عليهم الذهاب إلى المعابد في الأعياد السنوية ووجب على الكهنة فتح المعابد أمام السكان لتقديم موائد قرابينهم والتي ترمز إلى استمرار حياة الآلهة والمتوفي في نفس الوقت[3]. وتشترك النساء في احتفال تقديم القرابين إلى جانب الرجال[4]، ويتم تقديم القرابين بقطع جزء من أذن القربان ويتم رميَه فوق البيت ثم يلوون عنقها إلى الوراء ويذبحونها[5].

[1] - تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص-ص 54-56.
[2] - عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص 192.
[3] - نفسه، ص 192.
[4] - عبد اللطيف محود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، دار صادر، بيروت ، 1971، ص 220.
[5] - هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 188.

الفصل الرابع: علاقات مملكة الغرامنت

أولا- علاقات محلية

1 مع مناطق إفريقيا جنوب الصحراء

2- مع القبائل الليبية

1-2 مع إتحاد قبائل الموسولامي (Mussulamii)

2-2 مع اتحاد القبائل الأخرى

3- مع اقليم المدن الثلاث

ثانيا- العلاقات الخارجية

1- مع مصر الفرعونية

2- مع قرطاجة

3- مع روما

علاقات مملكة الغرامنت

أولا- علاقات داخلية

1- مع مناطق إفريقيا جنوب الصحراء:

صبغت علاقة الغرامنت مع مناطق افريقيا بالصبغة التجارية، حيث لعبت الأسواق الإفريقية دورا كبير في تزويد الغرامنت بمختلف السلع المتوفرة كما كان لتجار جرمة دور فعال في تزويد أسواق إفريقيا جنوب الصحراء بمختلف السلع الشمال، خاصة القرطاجية ثم الرومانية مثل الأسلحة والأواني الفخارية والملابس الحلي والمجوهرات مقابل الملح والحيوانات المتوحشة والعاج وبيض النعام والبخور والتوابل والذهب والفضة، حيث يتم تسويقها في إقليم المدن الثلاث وفي مختلف موانئ ساحل المغرب القديم[1].

تحكم الغرامنت في العلاقات التجارية الافريقية مع جنوب الصحراء فتنوع الشركاء التجاريين وتعددت مصادر الحصول على السلع وهذا جعلهم يتحكمون في حركة نقل البضائع بين الضفتين الشمالية والجنوبية[2]، ومن هنا نشبه الغرامنت بالفينيقيين - قاموا بنشر مختلف الثقافات في الحوض الغربي للبحر المتوسط – الذين لعبوا دورا فعالا في نقل معالم حضارات البحر المتوسط لإفريقيا جنوب الصحراء بالإضافة إلى ادخال الصناعات والعلوم والمعارف كما كان لهم دور في إيصال نخبة الرومان إلى عمق الصحراء والذين بدورهم أرخوا لهذا المجال الواسع من إفريقيا[3].

2- القبائل الليبية:

طبيعيا تكون لأبناء العمومة والجيران علاقات تتراوح بين الود والتناوش وهو ما اتسمت به العلاقات بين الغرامنت والقبائل الليبية المجاورة لها، حيث ساد مبدأ التعايش السلمي في أكثر الأحيان، مع نشوب بعض الخلافات والتنافس حول مناطق الرعي[4] وفي ما عدا ذلك غالبا ما تبين النصوص التاريخية أن القبائل الليبية تحالفت فيما بينها خاصة عند ظهور خطر خارجي وأكبر دليل على ذلك تحالفهم لصد عدوهم المشترك روما.

---

[1] - أسامة محمد مهدي قجالي وبن علال رضا، المرجع السابق، ص 901.

[2] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص92.

[3] - أسامة محمد مهدي قجالي بن علال رضا، المرجع نفسه، ص901.

[4] - دافيد ما تنجلي، المرجع السابق، ص ص35-36.

2-1- اتحاد قبائل الموزولامي (Mussulamii):

عرفت القبائل الليبية بتجمعات أو اتحادات لعدة قبائل منها تحت قيادة تاكفاريناس[1] (ينظر الملحق رقم 01) وانضم إليها الكثير من القبائل الليبية ولعل أهمها قبائل الغرامنت والجيتول بهدف طرد الرومان من بلادهم خاصة بعد أن انتهجت روما سياسة اغتصاب الأراضي من السكان وطردهم نحو الداخل[2].

وجه القائد تاكفاريناس نداءه الأخير للإمبراطور تيبريوس كلاوديوس بإعادة الأراضي لأصحابها ولكن هذا الأخير لم يستجب، فاندلعت ثورة الموزلامي بقيادته وقد زادت الموزلامي قوة لأنضمام شباب المور إليهم بقيادة أحد فرسانهم والمدعو مازيبيا، وأصبحت انتفاضة شعبية عمت معظم الأراضي النوميدية والمورية ووصلت جنوبا عند الغرامنت، ولهذا عمل الرومان على إنشاء خط دفاعي ربط بين قابس وقفصة بهدف مراقبة الموزولام والحد من تحركاتهم[3].

قسم تاكفاريناس جيشه إلى فرق من الفرسان وأخرى من المشاة وقسم القيادة بينه وبين مازيبيا فاحتفظ هو بالعناصر التي دربها بنفسه وفق الأساليب الرومانية وأقام المعسكرات وكون الفرق ذات التسليح الخفيف التي انتهجت أسلوب الكر والفر وحرب العصابات الذي يجيدونه على عكس الرومان الذين اعتادوا المعارك المنظمة الأمر الذي أربك بروقنصل افريقيا فيريوس كاميليوس ورغم ذلك تمكن من هزيمة تاكفاريناس عام 17م[4]، مما جعله يغير أسلوبه في القتال الامر الذي اضطر الجيش الروماني إلى طلب الدعم بعد استيلاء تاكفاريناس على بعض القلاع والحصون التابعة لهم وتمكنوا من إجباره على التراجع نحو الجبال وأقاموا سلسلة من الحصون لكي لا يستطيع الرجوع إلى معسكراته ولذلك عمل تاكفاريناس على الحصول على دعم مملكة الغرامنت الذين كانوا قوة لا يستهان بها في ذلك الوقت فوعده ملكهم بتقديم الإمدادات ولكن تاكفاريناس اكتفى بجعلهم قاعدة لشن الغارات على مدينة لبدة[5].

---

[1] - تاكفاريناس: ثائر نوميدي عمل مساعد في صفوف الجيش الروماني ثم فر من الجندية وكون جيشا من الموزولامي وثار ضد الاحتلال الروماني، للمزيد ينظر: محمد الهادي حارش، انتفاضة تاكفاريناس: قراءة في كتاب الحوليات لتاكيتوس، دراسات تراثية، مج: 16، ع:1، جامعة الجزائر، 2022، ص2017.

[2] - هاجر كتفي الشريف، قبائل الموزولامي الأوراسية المجال الجغرافي وأدوارها التاريخية، مجلة العلم الانسانية والاجتماعية، مج6، ع24، 2022م، ص08.

[3] - محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (18-24م)، مجلة الجديد للعلوم الانسانية، ع9، الجزائر، 1995م، ص192.

[4] - هاجر كتفي الشريف، المرجع السابق، ص 10.

[5] - عيسى محمد، ثورة تاكفاريناس وتبليط شوارع لبدة، مجلة آثار العرب، ع5، 1996م، ص22.

ازداد دعم الغرامنت لهذه الثورة فتقاسموا الغنائم ولم تستطع روما ارسال جيش يمنع مملكة جرمة على مساعدة تاكفاريناس إلى غاية 24م عندما أسس البروقنصل دولابيلا كتائب وفرق عديدة لمحاصرة تاكفاريناس في مدينة تيرسيكوم الأمر الذي أجبره على التخلي عن المدينة والتوجه غربا وعسكر بجيشه في موقع أوزيا (سور الغزلان)[1]، وبخروجه من الصحراء حيث يوجد حلفاءه تمكن دولابيلا من محاصرته فاختار الموت في ساحة المعركة في 24م، تلى هذا ارسال الغرامنت وفدا مع دولابيلا للاعتذار من الامبراطور تيبيريوس وطلب الصفح منه لدعمهم لتاكفاريناس[2] فرحبت به روما وأقنعها الوفد بزوال كل ما يدعو إلى الخوف من مملكة جرمة وهذه الخطوة أراحت روما من عبء شن حملة جديدة في فزان غير مضمونة النتائج[3].

2-2- اتحاد القبائل الأخرى:

دعم الغرامنت ثورات قبائل الجيتول الممتدة على الخط الجنوبي من منطقة موريطانيا إلى غاية لبيتيس ماغنا[4]، كما ساندوا أيضا قبيلة المارماداي مع مجموعة من القبائل الليبية نذكر منها النازامون والمكاي اللتان اتحدتا في حرب ضد قورينا مما دفع أغسطس إلى تنصيب بوبيليوس سرليكوس كورونيوس حاكما عليها وأمره بالتصدي لهذا الهجوم فانتصر عليهم في 15 قبل الميلاد[5].

دلت الشواهد الأثرية على تنوع العلاقات ومن أبرزها التجارية التي أقامت مملكة جرمة حصون لحراسة طرقها التجارية المارة بأراضيها حيث يحتوي كل حصن على برج مراقبة يتوسطه بئر لتقديم الماء للقوافل وأماكن لإيواء الخيل ومن أشهرها حصن مارة وحصن شرابه وتكمن أهمية هذه المنشآت في حماية ورعاية القوافل[6]، وكذلك الحال بقبيلة النزامون كانت لهم حصون لحماية القوافل على أراضيهم القادمة من الواحات تحتوي على مخازن مؤقته لجمع محصول التمور لتؤخذ إلى أماكن تخزينه في زنككرا مقابل ضرائب عينية[7].

الجانب الديني فنلاحظ أن الإله آمون متكرر في أسماء بعض القبائل ما يؤكد ارتباطهم بنفس الإله فنجد الجرميين تتكون من شقين "جر" وتعني حقل باللغة الليبية "أمن" هي الرب آمون ومعنى "أجرامن" "حقل آمون"، ويقصد بها في حمى آمون كذلك النزامون تتركب من

[1] - محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 53.
[2] - هاجر كتفي الشريف، المرجع السابق، ص 11.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 227.
[4] - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 129.
[5] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 228.
[6] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 118.
[7] - Oric Bates, op cit, p101.

كلمتين "إناس" و"أمون" وتعني "وحي آمون" وهذا يدل على ارتباطهم الديني المشترك بالرب آمون[1] وقد ذكر هيرودوت مملكة إيتيارك التي تقطن منطقة الواحات وتسمى بمملكة الأمونيين[2] تيمنا بالإله آمون لوجود معبد ومهبط وحي له بها، وكل هذا يدل على وجود وحدة عقائدية بين الغرامنت وجيرانهم من القبائل الليبية وهذا يؤدي إلى تحالفات وقت الأزمات نتيجة الارتباط الديني المشترك[3].

3- مع إقليم المدن الثلاث:

يضم هذا الإقليم ثلاث مدن أويا ولبدة وصبراته وهي مدن اتخذها التجار الفينيق نقاط تجارية في رحلاتهم بالحوض الغربي للمتوسط لتتطور وتصبح مراكز تجارية هامة ثم مدن كبرى، وتتمثل هذه المدن في لبدة "ليبيتيس ماغانا" أي لبدة العظمى أو الكبرى، ويرجع تأسيسها إلى القرن السادس قبل الميلاد[4]، أما مدينة صبراته فتحتوي على ميناء تجاري يربط المناطق الجبلية بالساحلية وأنشأت أيضا في القرن السادس قبل الميلاد وكذلك بالنسبة لمدينة أويا فيرجع تأسيسها إلى ما قبل القرن الخامس قبل الميلاد وميناؤها يربط بين لبدة وصبراته وهو من أهم المنافذ للتجارة القادمة من مملكة الغرامنت[5].

كان نفوذ الغرامنت التجاري يمتد من السواحل الليبية إلى غاية بحيرة تشاد جنوبا وبمحالفتهم استطاعت المدن الثلاث المتاجرة مع أواسط إفريقيا مما يؤكد على عدم وجود علاقات عدائية بين الطرفين[6] إذ لا توجد إشارة إلى حملات عسكرية شنتها المدن الثلاث على القبائل الليبية عامة الساحلية أو الداخلية بل كانوا في سلام دائم[7]، ونشأت بينهم بين الغرامنت تجارة مزدهرة حيث كان هؤلاء وسطاء تجاريين بين المدن الثلاث وبين كل الجهات الشرقية والغربية الجنوبية خاصة، حيث يمدون هذا الإقليم عبر الطرق البرية الجنوبية بمختلف السلع الخام مما سمح ببناء علاقة قوية بين الطرفين وأصبحت جرمة من أهم المحطات التي تتجمع فيها القوافل المتوجهة أو القادمة للمدن الثلاث المحملة بمختلف السلع منها ما يؤخذ مباشرة إلى الموانئ ليتم نقلها إلى مختلف مرافئ البحر المتوسط[8].

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 229.
[2] - هيرودوت، المصدر السابق ، فقرة 32.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق،ص229.
[4] - محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، 1981م، ص 67.
[5] - أحمد أنديشة، المرجع السابق، ص 35.
[6] - مصطفى كمال عبد المنعم، المرجع السابق، ص235.
[7] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص233.
[8] - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص217.

ثانيا- العلاقات الخارجية

1- مع مصر الفرعونية:

خلّف سكان الصحراء كما هائلا من الفن الجداري أو ما يسمى بالرسوم الصخرية التصويرية التي تكثر بالمناطق الداخلية مثل فزان وتبين رسوم الصحراء الوسطى العربات التي تميز بها الغرامنت تحديدا وهي على نوعان نوع تجره أربعة أحصنة أو أربعة ثيران ثقيلة الوزن تستخدم لنقل البضائع يمتطيها أكثر من راكب وعربات أخرى يجرها حصانان وقد ورد في موقع مدينة هابو أن الفرعون رمسيس الثالث قد غنم في حربه الثانية ضد قبائل ليبيا القديمة 92 عربة و184 حصان كذلك تحتوي مواقع متحف الهواء الطلق في مرتفعات الآهقار التاسيلي الكثير من الرسومات تخص العربة الطائرة والتي صنعها الغرامنت من الخشب فحسب ولم يدخل المعدن (البرونز) في صناعتها[1].

إذا ما قارنا بين العربة المصرية والعربة الغرامنتية نجد أن المصريين استخدموا العربة التي يجرها حصانان بعد أن اقتبسوها من أعدائهم الهكسوس وقاموا بتطويرها أما عربة الغرامنت فهي اختراع محلي يوافق بيئة الصحراء المعاشة، فمثلا عجلة عربة الصحراء بها أربعة محاور فقط كذلك في عدد الأشخاص الذين يمتطونها فعند المصريين يمتطيها شخصان قائد العربة وإلى جواره جندي بينما عربة الغرامنت يمتطيها شخص واحد، كذلك نجد العربة المصرية يدخل في صنعها المعدن على عكس الغرامنتية التي تصنع من الخشب فقط وبالتالي نستخلص أن العربة الصحراوية أصيلة في منطقتها فهي تختلف عن المصرية كونها خشبية بالكامل خفيفة الوزن[2] وتنفرد بتقنية شد وربط الحصان بالعربة الذي يتم باستعمال سيور من الجلد تسمى المقرن أو العريش وأحدهما يمر بجانبي الحصان والآخر يكون منفرد يستعمل في حالة ما إذا كانت العربة تجر بأكثر من حيوان.

وجدت عربات بعجلتين وعريش واحد في الرسومات الصخرية الصحراوية وهناك عربات بستة وسبع عرائش وبالتالي العربة المصرية وعربة الغرامنت مختلفتان اختلاف كبير ولكن احتمال تأثيرهما ببعض واردة ولا يمكن نفيه بالكامل لأن المنطقة مفتوحة على بعضها ولذلك فإن تأثير العربة المصرية في العربة الليبية القديمة وارد لأنها سابقة لها إذ عرفت مصر العربة منذ حكم الأسرة 18 أما الغرامنت فلم تظهر عندهم إلا بعد حكم الأسرة 20 أما الاختلاف بين العربتين فاقتضته تضاريس كل منطقة[3].

---

[1] - أم الخير عقون، نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم، منشورات مخبر التاريخ والحضارة الجغرافية التطبيقية، الجزائر، 2013، ص ص25-106-107.

[2] - نفسه، ص108.

[3] - المحفوظ أسمهر، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة محمد الخامس أكدال، المغرب، 2004م، ص 214.

عموما العلاقات المصرية مع الليبيين والغرامنت خصصا يشوبها الغموض لعدم وجود نصوص واضحة فيما عدا ما جاء في الآثار المصرية والتي كانت تهدف إلى تمجيد تاريخهم فهي لا تتصف بالموضوعية رغم أنها جزاء من الفراغ الذي يسد فجر تاريخ المغرب القديم[1].

2- مع قرطاجة:

حدث انسجام وتعاون بين قرطاجة ومملكة جرمة، خاصة في مجال المبادلات التجارية وذلك لعدم محاولة قرطاجة السيطرة على جرمة وعلى طرق القوافل التجارية التي كانت تحت سيطرتها وتركت أمر الإشراف عليها لهم لإدراكها بمعرفتهم بخبايا الصحراء، وكذلك قدرتهم على حماية القوافل من مخاطر الطرق المؤدية إلى مملكتهم خاصة أنهما استطاعا (جرمة وقرطاجة) بمساندة قبيلة المكاي من طرد داريوس ابن ملك اسبرطة من المستعمرة التي أنشأها في وادي كعام سنة 514 ق م[2]، ودوّن هذا التعاون في نقيشة قورينة حيث يدل على حرص قرطاجة على منع تسلل الإغريق إلى الطرق التجارية المؤدية إلى مملكة الغرامنت[3].

المبادلات التجارية بين الغرامنت وقرطاجة كانت تتم عن طريق المقايضة في بادئ الأمر حيث كانت السلع الصحراوية تصل إلى قرطاجة عن طريق القوافل التجارية الغرامنتية والعكس بالعكس مما سمح بتدفق السلع لكلا الطرفين[4]، ومن أهم السلع التي قدم بها الغرامنتيون إلى قرطاجة المعادن الثمينة كالذهب والعقيق الأخضر أو ما يسمى حجر الكاربونيكل واشتهر باسم الحجر القرطاجي في حوض البحر المتوسط لكثرة ما يتاجر به القرطاجيون معهم حتى سمي باسمهم بالإضافة إلى جلود الحيوانات ومعدن القصدير[5]، وكل ما يمكن المتاجرة به في الأسواق العالمية وهذا ما جعل العلاقات تصبح متينة بين الطرفين خاصة التجارية منها حيث اكتفت قرطاجة بدور الموزع للسلع في كافة أنحاء العالم القديم فطالما كانوا يتحصلون على السلع لم يهتموا ولم يسعوا إلى فرض سيطرتهم على الشريك التجاري واقتبس الغرامنت من القرطاجيين طريقة تربية النحل ويدل على هذا الأواني الفخارية والإمفورات والجرار المخصصة لذلك التي وجدت في فزان كما برزت صناعة الأقمشة المطرزة وتجفيف التمور والزيتون[6].

---

[1] - أم الخير عقون، المرجع السابق، ص109.

[2] - أم الخير عقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 715-950 ق م، دار القدس العربي، الجزائر، 2015م، ص235.

[3] - هيرودوت، المصدر السابق، فقرة 42.

[4] - مصطفى كمال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 79.

[5] - محجوبي عمار، العصر الروماني (تاريخ إفريقيا العام)، ج2، منشورات جين أفريك اليونسك، إيطاليا، 1975م، ص 462.

[6] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص.325

حثت قرطاجة الغرامنت على زيادة نشاطهم التجاري بإرسال التاجر القرطاجي "ماجون" في رحلة مع قوافل جرمة اجتاز فيها الصحراء ثلاث مرات كمرافق لقوافلهم التي تكونت من عدد كبير من الحمير[1]، وتطور التحالف بينهما من تحالف تجاري فقط إلى تحالف سياسي وعسكري حيث أكدت المصادر الأدبية دعم مملكة جرمة لقرطاجة في كل حروبها ضد روما ويذكر بولوبيوس أن الغرامنت كانوا ضمن جيش هانيبال[2].

3- مع روما

3-1- العلاقات الحربية العدائية:

سيطر الرومان على المدن الثلاث وأخذوا يتطلعون إلى المناطق الداخلية من ليبيا واختراق الصحراء للسيطرة على مملكة جرمة التي أصبحت قوة مهددة لوجودهم ولمخططات توسعهم في المنطقة، خاصة وأن الغرامنت ساندوا ثورات غيرهم من القبائل كثورة تاكفاريناس والموزولامي والجيتول كما سبق ذكره وهذا ما اعتبرته روما تحديا وتهديدا لها فأرسل الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس العديد من الحملات العسكرية لقمع ثورات القبائل التي رفضت حكمهم على المنطقة خاصة الغرامنت[3].

3-1-1- حملة لوكيوس كورنيلوس بالبوس

3-1-1-1- أسبابها ومجرياتها:

اعتبر المؤرخين أن دعم مملكة جرمة لقبائل الجيتول عندما ثارت على الرومان السبب المباشر لهذه الحملة بينما يرى آخرون أن تنامي قوة مملكة الجرامنت وإزدهار عاصمتهم هو السبب في الإغارة عليهم لأن الرومان يرونه تهديدًا لسياستهم التوسعية[4] كذلك لإلهاء الجيوش الرومانية بعد انتهاء الحرب الأهلية في روما بانتصارات تشغلهم عن قضية إستيلاء أوكتافيوس عن الحكم بالإضافة إلى رغبة روما في السيطرة على المراكز والطرق التجارية التي تربط مملكة جرمة مع المدن الأخرى خاصة تلك التي وراء الصحراء[5].

انطلقت الحملة من إحدى المدن الثلاث باتجاه الجنوب وأول إشارة لمسارها وردت على لسان فرجيليوس الذي تحدث عن أمجاد الامبراطور أغسطس الذي غامر بجنوده إلى ما وراء بلاد الغرامنت[6] (ينظر الملحق رقم 03) وعددّ بلين أهم المناطق التي استولى عليها

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص325..

[2]- Polybe, Histoires Générale de la République Romaine, I, Tr: Hachette, Paris, 1847.

[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص239.

[4] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 138.

[5] - مصطفى خاتمي، الحملات الرومانية ضد مملكة جرمة ما بين19 ق م -17م، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج11، ع02، 2020م، ص13.

[6] - فرجيليوس، الإليادة، 1، 2001.

الرومان في هذه الجملة قائلاً:" في ذلك الاتجاه تقع أرض فزانيا التي استولينا عليها بقوة أسلحتنا إذ غزونا مدن أليلي وكلابا... وكذلك مدينة جرمة الشهيرة عاصمة الغرامنت... لقد استولت القوات الرومانية على كل المناطق المذكورة سابقا وكّلل كورنيلوس بالبوس بأكاليل النصر لفوزه في تلك الغزوات فوق عربة النصر وحصل هو وعمه بالبوس الكبير على شرف الحقوق القومية وكذلك حق المواطنة لأنهما لم يكونا من مواليد روما.. كانا أجنبيين عن مدينة قادس"[1].

ما جاء من أخبار في رواية بلين عن انتصاراتهم في فزان مبالغ فيها والدليل عدم وجود أي آثار تدل على وصول الرومان إلى مملكة الغرامنت في هذا التاريخ المبكر ولا وجود لنصب تذكاري أو نقيشة كما إعتاد الرومان تخليد أي إنتصار هام لهم وهذه المبالغة كان الهدف منها رفع الروح المعنوية للجنود الرومان بينهما في الحقيقة فشلت هذه الحملة في إخضاع مملكة جرمة لأنها لم تسفر عن استقرارهم في الجنوب[2]، وعلى العكس من ذلك فقد شجعت الغرامنت على مّد يد المساعدة إلى قبائل المارماريداي في حملتهم على قورنية في اتحاد مع القبائل وتحت قيادة ملك واحد وذلك بعد أربع سنوات فقط من حملة بالبوس حيث واجهوا كتائب رومانية تحت قيادة بوليوس سكيبون كويرينيوس واستطاعوا غزو قورينة والراجح أن هذه الجملة وصلت فقط للحدود الشمالية للمملكة واستولت على غدامس ولم يدخلوا مدينة جرمة حيث تمَّ طردهم منها خائبين إلى لبدة عبر طريق آخر يسمى طريق وادي زازامت وجبل مسلاته[3].

3-1-2- حملة فاليريوس فستوس حوالي80م

بعد وفاة الامبراطور نيرون نشبت في روما حرب أهلية لم تستقر حتى تولى فسباسيان الحكم وأعاد السلام في روما والأقاليم التابعة لها وخلال الحرب الأهلية نشب نزاع بين الأسر الحاكمة في المدن الثلاث بين مدينتي لبدة وأويا وخلال النزاع القائم بينهما تدخلت مملكة الجرامنت وهنا تجدّد الصراع بين روما ومملكة الجرامنت لتدخلها في صف مدينة أويا ضد لبدة المفضلة لدى الرومان[4].

[1] - بلين الكبير، المصدر السابق ، الفقرة 25-26.
[2] - مصطفى خاتمي، الحملات الرومانية، المرجع السابق، ص 14.
[3] - مصطفى خاتمي، التمييز الحضاري، المرجع السابق، ص242.
[4] - مصطفى خاتمي، الحملات الرومانية...، المرجع السابق، ص 15.

3-1-2-1- أسبابها ومجرياتها

أدركت مدينة أويا ضعفها العسكري وطلبت المساعدة من مملكة الجرامنت كقوة عسكرية في فزان فقاموا بحصار مدينة لبدة وخرّبوا المزارع المحاذية لها مما سبّب أضرار كبيرة في إنتاجها الزراعي فاستنجدت مدينة لبدة بالقوات الرومانية وتم تكليف قائد نوميدي برتبة الليغاتوس فاليريوس فستوس بالخروج على رأس حملة لنجدة لبدة واستطاع هذا الأخير تشتيت قوى الغرامنت واستردّ منهم جزء كبير مما غنموه وحرّر المدينة وأسر عدد كبير من جيش الغرامنت[1] حيث تم تعذيبهم في المسرح المكشوف في مدينة لبدة ودوّن هذا في لوحات الفسيفساء التي عثر عليها في زلتين ضواحي لبدة التي تحوي على مناظر لأسرى الجرامنت يقدمون كطعام للأسود[2]. (ينظر الملحق رقم16).

استولى فاليريوس فستوس على أويا وأصلح بينهما وبين لبدة لكسب رضا الإمبراطور الجديد تيتوس فلافيوس (79-81م) وتوجّه إلى الجنوب لإخضاع مملكة الجرامنت[3]، سالكا طريق حصن غدامس هون ثم عبر مزدة إلى الحمادة الحمراء في حين يرى آخرون أنه انطلق من أويا إلى مزدة ومنها إلى الحمادة الحمراء مباشرة[4] (ينظر الملحق رقم 04، ص63) حيث دلّه أحد أدلاء الطريق على مسلك أقصر من المعروف يستغرق أربعة أيام فقط وقد عرف هذا الطريق برأس الصخرة[5].

لاحق فستوس الجرامنت جنوباً حتى التلال التي تقع خلف الرأس الصغرى لكنه لم ينجح في التوغل نحو الجنوب لأن الغرامنتيين قاموا بقطع خطوط التموين عليه بطمرهم للآبار[6] كنوع من التكتيك الحربي الذي أربك العدو مما جعله يتوقف عن التقدم خوفا من الهلاك ولهذا السبب قامت روما يوضع خط دفاعي به معسكرات وحصون للدفاع عن أملاكها في الشريط الساحلي وذلك في المنطقة الجنوبية الممتدة من الرأس الصخري حتى جادو وغريان[7].

فشلت هذه الحملة في تدمير قوة مملكة جرمة وإخضاعها ويرجع السبب في ذلك إلى استخدام الغرامنت الجمال كتخطيط حربي وكان الجيش الغرامنتي يتكون من المشاة والفرسان راكبي الخيول والجمال المتصلة بالعربات الطائرة أما أسلحتهم فهي السيوف والرماح بالإضافة إلى فرقة خاصة مهمتها طمر الآبار وسّد المسالك على العدو بهدف قطع التموين عليه[8].

---

[1] - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، 80.

[2] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 141.

[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص17.

[4] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 144.

[5] - رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص245.

[6] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 145.

[7] - Oric Bates, op cit, p234.

[8] - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 91.

3-2- العلاقات السلمية

ملّ الرومان والجرامنت الحروب التي لم تنته بنتيجة فاصلة لصالح إحدى الطرفين، وبنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني استقرت الأوضاع بعد حملة فستوس وساد السلام بين روما ومملكة الغرامنت[1] فتطورت العلاقات بين المدن الثلاث شمالاً والمناطق الجنوبية الغرامنتية خاصة المبادلات التجارية[2] والسبب في ذلك التصادم بين الرومان وقبيلة النزامونيين المجاورة لمملكة جرمة والتي كانت حليفة لهم إبّان حملة فستوس تمدهم بالامدادت التي يقطعها عنهم الغرامنت وذلك لأنهم ثاروا ضد ابتزاز جباة الضرائب الرومان الذين يعاملونهم بقسوة في تحصيل الضرائب فهجموا عليهم وقتلوهم فأرسلت روما حملة يقيادة سوليوس فلاكوس لتأديبهم ولكنهم بمساعدة قبيلة المكاي استطاعوا هزيمة الرومان واحتلوا معسكرهم ثم تكررت الغارات عليهم وفي آخرها هاجم سوليوس النزامونيين في عاصتهم واستطاع تدميرها[3]، هذه الحوادث فرضت على روما قبول الصلح مع مملكة جرمة خاصة أنها أدت إلى تدهور تجارة الصحراء بعد حملة بالبوس[4] وهذا ما جعل الغرامنت يذعنون إلى الصلح، كذلك لأن حملات الرومان ضدهم أضعفت قوى مملكتهم وأغلقت أسواق لبدة وصبراته وأويا في وجه تجارتهم بالاضافة إلى الغارات المتكررة على حدود جرمة وقوافلها من قبل قبائل الصحراء المتموقعة جنوب جرمة دون الرد عليهم لانشغال الغرامنت بالحرب مع روما[5].

طلبت مملكة جرمة الصلح مع روما شريطة موافقتهم على استقلالها والحفاظ على سيادتها والدليل ما جاء في نصوص بطليموس الجغرافي حيث يذكر أن ملكا يدعى مركين (مرسيس) قد سافر على رأس وفد لمقابلة الامبراطور الروماني ديميتيانوس في روما وعندما لم يجده سافر إليه من روما إلى بلاد الغال حيث قابله هناك[6]، وقد اعتبر المؤرخون أن بطليموس أخطأ عندما اعتبر هذا الملك من النزامونيين لأنه في وقت المقابلة (89م) كانوا قد أُبيدوا على يد سوليوس والأقرب إلى الصحيح يكون الملك من جرمة وتدل الآثار التي عُثر عليها في مقابر الطبقة الرابعة بجبانة سانية هويدي على أواني من الفخار السانونية

---

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 19.

[2] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 157.

[3] - مصطفى خاتمي، التمييز الحضاري، المرجع السابق، ص 246.

[4] - مبروكة سعيد الفاخري، العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الروماني على الساحل الليبي منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث للميلاد، مجلة سبها، العدد2، 2013، ص 123.

[5] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص 146.

[6] - بطليموس كلاوديوس، الجغرافية، تر:الذويب محمد المبروك، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2019 الكتاب الثالث، الفقرة 8.

المختومة باسم ورشة الليزو وهي الأواني التي اشتهرت بها بلاد الغال حيث تمت المقابلة ومن المرجح أنه تمَّ اقتناؤها من طرف الملك أو أحد مرافقيه[1].

إتّفق الطرفان على تقديم الفرق الرومانية بلبدة المساعدة للغرامنت لتطهير طرق القوافل الواقعة جنوب مملكتهم من الإثيوبيين وهذا ما يؤكد أن الاتفاقية كانت مع جرمة وليس مع النزامونيين وقد تم تطبيق الاتفاقية بالفعل[2]، ونتج بذلك إحلال السلم بين روما على الساحل ومملكة جرمة في الجنوب وكان الرومان يهدفون إلى إقامة وكالات تجارية في جرمة واستكشاف جنوب الصحراء وكان لهم ذلك[3] بإرسال حملات استطلاعية نحو جنوب مملكة جرمة مختلفة في أهدافها ونتائجها عن الحملات العسكرية التي كانت فاشلة وهي:

3-2-1- حملة سبتيموس فلاكوس الاستطلاعية 86 م

في عهد الامبرطور دوميتيانوس انطلقت هذه الحملة بقيادة سبتيموس قائد الفرقة الأوغسطية الثالثة برفقه ملك مملكة جرمة وهي استطلاعية متجهة ناحية الداخل الافريقي (ينظر الملحق رقم 05) واستغرقت ثلاثة أشهر استفاد منها الرومان في معرفة واستكشاف الطرق التي تربط جرمة بما وراءها من المناطق وفي نفس الوقت حققت الحملة هدف تأديب قطاع الطرق من الإثيوبيين[4].

استكشفت روما في هذه الحملة المنطقة عسكريا واقتصاديا بهذا حققت هدفها من الحملة، وقد اختلف في تحديد تاريخها فيذكر بعض المؤرخين أنها سنة 86م أما البعض الآخر فيضع 100م تاريخ لها[5].

3-2-2- حملة يوليوس ما تيرنيوس الاستطلاعية 100م

انطلقت هذه الحملة في عهد الامبراطور تراجانوس (98-117م) وذلك في مطلع القرن الثاني للميلاد كسابقتها استطلاعية قادها يوليوس ماتيرنيوس والذي اختلف في كونه قائدا عسكريا أو تاجر[6] وقد أجاب بطليموس عن هذا التساؤل عندما قال عنه أنه خرج بقواته[7]، مما يدل على أنه قائد للجيش بغض النظر عن رتبته، وتوجه من مدينة لبدة التي أصوله منها إلى مملكة جرمة بقواته وانطلق منها رفقة ملكها ناحية الجنوب (ينظر الملحق رقم 06) وقام الاثنان بإتمام مهمة القضاء على قطاع الطرق التجارية السالفة الذكر[8]، ثم أكملت الحملة

---

[1] - أيوب محمد سليمان، المرجع السابق، ص147.

[2] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 248.

[3] - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 91.

[4] - السيد محمد عمار علي، المواجهات العسكرية بين قبائل الجرامنتيين والرومان (القرن الأول قبل الميلاد- القرن الثالث للميلاد)، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ع40، د.ب، د.ت، ص1626.

[5] - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص87.

[6] - السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص-ص 1627.

[7] - بطليموس كلاوديوس، الكتاب الأول، الفقرة 10.

[8] - السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص1628.

مسيرها نحو الجنوب مدة أربعة أشهر وأربعة عشر يوما حتى وصلت إلى أجيزمبا[1] ولم يعرف بالتحديد موقع هذه المدينة واختلف كونها بحيرة تشاد أو دارفور أو مدينة كوار في النيجر، وكانت تربطها بجرمة طرق تجارية[2]، وبها تعيش الحيوانات البرية[3] .

الهدف من هذه الحملة اقتصادي بالدرجة الأولى سعت من خلاله روما إلى السيطرة على الطرق التجارية المتجهة شمالاً وتأمينها من مخاطر قطاع الطرق، وكذلك البحث عن مصادر التجارة الافريقية مما أدى إلى ازدهار تجارتها وانعكس هذا إيجاباً على تجارة مملكة جرمة كذلك[4] وقد تمت الحملتين بموافقة الغرامنت، مما يدل على أن هذه الفترة كانت سلمية بين الطرفين جسدت التعاون بينهما وجعل هذا مملكة الغرامنت تحافظ على سيادتها الداخلية وعلى طرق القوافل[5].

3-3-التحصينات الدفاعية الرومانية في جرمة

أواخر القرن الثاني للميلاد تحالفت قبائل النزامون والغرامنت وقاموا بغارة مشتركة على المدن الثلاث الرومانية في فترة حكم الإمبراطور سبيتيموس سيفيروس (193-211م)، فقاد حملة هو على رأسها لمطاردتهم حتى فزان (203-204م)، وبهذا انتهت فترة السلم بين الغرامنت الرومان، أدرك سبتيموس خطورة هذه القبائل واستراتيجية موقعها وقرر إقامة تحصينات تحمي المدن الشمالية من أطماع القبائل خاصة الجرامنت والنزامونين واستمر على هذا النظام الدفاعي من بعده ابنه ماركوس أوريليوس كاركلا (212-217م) وحفيده ألكسندر سيفيروس (224-235م)[6]، وذلك لضمان الأمن والاستقرار لولاياته ويعتمد هذا النظام على سلسلة من التحصينات على الحدود الجنوبية للمدن الرومانية الساحلية كإنشاء الحصون والقلاع وهي إمّا معسكرات محاطة بالأسوار أو أبراج مراقبة متفرقة أو مزارع محصنة[7] وهذا ما يسمى بخطوط الليمس والذي تم تقديمه نحو الجنوب ناحية فزان بداية من القرن الثاني للميلاد[8] وهو من ضمن سياسة الرومنة التي طبقتها روما ضد القبائل الليبية قديما[9].

---

[1] - مقدم بنت النبي، موقف الجرامنت من السياسة الرومانية ما بين القرن الأول والثالث ميلادي، حوليات جامعة الجزائر، مج09، ع02، 2023، ص 33.

[2] - محمد سليمان أيوب، جرمة من ...، المرجع السابق، ص153.

[3] - بلين الكبير، الكتاب 5، الفقرة 38.

[4] - السيد محمد عمار علي، المرجع السابق، ص-ص 16-28.

[5] - مصطفى خاتمي، الحملات الرومانية...، المرجع السابق، ص 22.

[6] - مبروكة سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص 125.

[7] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 171.

[8] - مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص34.

[9] - عمران أحمد الشريف، سياسة الرومنة في ولاية إفريقيا البروقنصلية ومقاومة القبائل الليبية لها خلال عصر الإمبراطورية الرومانية27 ق م-29م، جامعة المرقب قسم التاريخ، د.د، د.ت، ص204.

3-3-1-الحصون

هي الوسائل المباشرة التي اعتمد عليها الرومان في تحقيق سيادتهم وكانت تتركز مهمتها في مد الدعم لقواتها العسكرية ومن أبرزها:

- حصن جولايا (caestra gholaia)

ذكر هذا الحصن في العديد من النقوش والوثائق القديمة، أهمها تلك التي عثر عليها في مذبح المعبد الصغير، حيث يقدم يوليوس ديوجينوس الشكر للرب جولايا ونقائش أخرى أعدتها الفرقة الأوغسطية الثالثة إحتفالا بوصولهم إلى بونجيم بالإضافة إلى الأشقاف المكتوب عليها اسم جولاس[1].

يقع الحصن في واحة بونجيم على بعد 110 كلم جنوب الساحل كما يبعد بـ 200 كلم جنوب مرتفعات كيفالي (مصراته)، ويطل على الطريق الذي يربط هذه المناطق بجرمة ووسط إفريقيا[2]، (ينظر الملحق رقم 07) يعود زمن إنشائه إلى ما بين 201 و202م وهو عبارة عن سور مستطيل بأركان مستديرة ويحتوي على أبراج داخله وله مدخل في جانبه الخارجي[3].

الحصن عبارة عن خط دفاعي ومحطة جمارك لفرض الرسوم على البضائع القادمة من الجنوب (جرمة) إلى الشمال وهذا ما أثبتته نتائج الأبحاث الأثرية في تلك المنطقة حيث تم اكتشاف موقعه من قبل النقيب البريطاني ليون سنة 1819م ولذلك هو أهم حصن مقارنة بغيره[4].

- حصن غدامس (Caestrv Mcidamvs)

تقع واحة غدامس إلى الجنوب الغربي من طرابلس حصنها يعتبر من أهم الخطوط الدفاعية الرئيسية التي تربط بين الطرق التجارية الهامة[5] (ينظر الملحق رقم08) ، حيث تم تشييده في أعلى مكان بالواحة ويعتبر بعض المؤرخين أن حصن كيدامس أساسا في عهد كركلا أما البعض الآخر ينسبه إلى عهد سبتيموس سيفيروس[6]، وتم بناء الحصن من قبل

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص-ص 172-173.
[2] - مصطفى خاتمي، التمييز الحضاري...، المرجع السابق، ص 253.
[3] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص173.
[4] - مصطفى خاتمي، التمييز الحضاري...، المرجع السابق، ص 253.
[5] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص174.
[6] - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، 93.

كتيبة الفيلق الأغسطي الثالث كذلك بقيادة ليغاتوس نوميدي، ويدل على هذا نقيشة خصصت لذلك [1].

- حصني القريات الغربية والشرقية :

تتميز هذه القلاع بموقعها الاستراتيجي وذلك لأنها تقع بين مملكة جرمة والمدن الساحلية فهي واحات تقع على وديان فرعية تصب في وادي زمزم الكبير (ينظر الملحق رقم 09) ، يحدها غرباً الحمادة الحمراء التي هي بمثابة حدّ طبيعي يحمي الجانب الغربي، أمّا جنوبا يفتقد الحماية الطبيعية فهو معرض لغزوات محتملة من مملكة جرمة[2].

تدل النقوش أن حصن القرايات الغربية أنشئ في عهد الكسندر سيفيروس وهي تمتد على 183 متر طولاً و 132 متر عرضا، به مدخل رئيسي يحتوي على ثلاثة أقواس محاطة بأسوار خارجية و أربعة أبراج و برج آخر يطل على المنحدر، وقد كان للحصن اسم روماني مختص به ولكن لم يصلنا واهتم الرومان بتشييده في هذه المنطقة لأنها تشرف على الطريق الرئيسي القادم من المدن الثلاث نحو مملكة الغرامنت، وهو نفسه الطريق الأقصر الذي يوصلهم بجرمة ويطل على حصن روماني صغير في القريات الشرقية[3].

أما تاريخ حصن القريات الشرقية فيرجع إلى عهد الإمبراطور الكسندر سيفيروس كذلك ويشبه الحصن في أسلوب بنائه قصر أبو الأركان، وحصن القريات الغربية[4] التي تبعد عنه بحوالي 20 كلم إلى الشرق، ولم يبق من الحصن الشرقي سوى جدرانه الرئيسية وتبلغ مساحته 9 هكتارات بالإضافة إلى هذه الحصون الكبيرة وجدت حصون أصغر منها مهمتها الربط بين هذه الحصون كالتي وجدت في منطقة مزده وأورو وحصن زيري قرب حصن جولايا سابق الذكر[5].

3-3-2-المزارع المحصنة :

مزارع أقامها الإمبراطور الاسكندر سيفيروس على رؤوس الأودية مثل وادي سوف الجين ووادي زمزم وروافدهما منذ القرن الثالث للميلاد، وهي خط الدفاع الثاني بعد الحصون، عرف سكانها بالليمتاني، وهي منشآت عمرانية تم توطين الجنود القدامى من الوحدات الرومانية فيها لتشجيعهم على الإقامة فيها وإعفائهم من دفع الضرائب وتقديم المساعدات اللازمة لهم للعمل الزراعي مقابل الدفاع عن منطقتهم من هجمات القبائل

[1] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 260.
[2] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص176.
[3] - مصطفى خاتمي، التمييز الحضاري، المرجع السابق، ص 262-264.
[4] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص176.
[5] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 264.

الليبية[1]، وهكذا جمعوا بين مهنتي الجندية والأعمال الزراعية [2]، وتتكون مباني هذه المزارع من طابقين أو ثلاثة يحيط بها خندق عريض وتتميز جدرانها الخارجية بقلة النوافذ المطلة على الخارج، وهي على ارتفاع يسمح بكشف مساحات واسعة من الريف يثبت أنها أقيمت لأغراض عسكرية، وقد عثر على نموذج منها في وادي نفذ، وكانت كذلك مزودة بمستودعات لتخزين الحبوب والزيت وهي المسؤولة على توزيعها من الداخل نحو الساحل ولعل أهمها مزرعة قرزة نظرا لأهميتها الاقتصادية والعسكرية حيث اشتهرت بجودة منتوجاتها الفلاحية من فواكه وحبوب وبقوليات، بالإضافة إلى كونها مقر لإقامة الجنود [3] .

3-3-3 الطرق العسكرية

شق الرومان طرق عسكرية جديدة لها فائدة تجارية وامنية، كما قاموا بتحسين طرق القوافل الغرامنتية التي كانت طويلة وضيقة وصعبة القطع بالمرتفعات[4]، ومهمة هذه الطرق حماية المناطق الزراعية الواقعة وراء المدن الساحلية[5] التي بها الأعلام الميلية –الميل- لتحديد المسافات بدقة عالية وهي عبارة عن أعمدة تقام على الطرق انفرد بها الرومان كمظهر حضاري، مهمتها تحديد مسافات معينة من الطريق بدقة، وتكون دائرية أو أسطوانية الشكل ارتفاعها 3.5 متر وقطرها 65 سم، من أهمها المعلم الميلي الذي يقع على بعد 80 ميل للطريق من حصن جولايا ويعود إلى عهد الإمبراطور كركلا، وهناك معالم أخرى على طول الطريق مزدة التي تمثل ملتقى طريقين يؤديان إلى فزان[6].

أهم هذه الطرق طريق أويا مزدة فزان، وتكمن أهميته في أنه من الطرق المركزية من الساحل إلى فزان وتقع النقطة الرئيسية للسيطرة عليه في حصن القريات الغربية، وتوجد طرق أخرى تمتد إلى الحصون والقلاع الرئيسية، وتلتقي هذه الطرق في حصن بونجيم جولايا، وتحتوي الطرق العسكرية على مراكز لحراسة وحماية القلاع من هجمات قبائل الغرامنت واستمر نظام الدفاع الروماني في فزان حتى نهاية وجودهم سنة 445م حيث توقف العمل بهذا النظام[7].

[1] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص176.
[2] - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص204.
[3] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 266.
[4] - شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: مزالي أحمد البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ص186.
[5] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص179.
[6] - مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 267.
[7] - نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص179.

الخاتمة

خلصنا في نهاية بحثنا هذا إلى جملة من النتائج أهمها:

- ✓ استطاعت قبائل الغرامنت تحدي صعوبات البيئة الصحراوية وقساوة المناخ بأسيس مملكة قوية ومتكاملة الأركان في فزان بقيت آثارها واقفة لحد الآن.
- ✓ دلت الآثار على وجود زراعة مروية في المنطقة من خلال الابتكار العبقري للفرد الغرامنتي الذي قام بتغطية التربة المالحة بطبقة من التربة الصالحة للزراعة وهذا يتطلب امكانيات ضخمة ووسائل متطورة.
- ✓ اهتدى الغرامنت إلى نظام الري الفعال في استغلال المياه الجوفية والمعروف بالفجارات حيث يستخرج ويوزع المياه بقنوات تحت الأرض لتقليل التبخر بسبب طبيعة المنطقة المعروفة بالحرارة المرتفعة.
- ✓ كثيرا ما نواجه قضية الأصول الليبية للقاطنة في بلاد المغرب القديم وهذا ما وجدناه عند قبائل الغرامنت، وقد تبين لنا في نهاية تمحيص النظريات المطروحة أنه شعب أصيل منطقته أحسن التعامل مع اخوانه ومنطقة عيشه.
- ✓ تمر الدول عبر مراحل عمرية من النشأة إلى التطور، وهذا ينطبق على مملكة جرمة التي بدأت في قمة جبل زنككرا منتقلة إلى رحاب وادي الآجال المنخفظة تحت نظام حكم ملكي ولكنه من نوع خاص حيث لا يخضع للوراثة ويتم انتخابه من طرف مجلس شيوخ القبيلة.
- ✓ عرفت مملكة الغرامنت في مختلف المصادر الكلاسيكية بدء بهيرودوت وبلينوس وبروكوبيوس مما يدل على فعالية دورها التاريخي وقيامها بأحداث هامة تستحق الاهتمام والتدوين.
- ✓ شكل الغرامنت جيش قوي ومنظم انقسم إلى مشاة وفرسان وفرق طمر الآبار والطرق، واحتكر هذا الجيش الفرقتين أخيرتي الذكر، بالإضافة إلى اختراع العربة الحربية الطائرة.
- ✓ امتهن أهل جرمة مهنتي الزراعة والرعي والصيد وتربية الحيوانات، فكان بذلك مجتمع يجمع بين الاستقرار والتنقل والحضر والبدو.

- ✓ دجن الغرامنت مختلف الحيوانات حسب احتياجاتهم لها لجر العربات وحراثة الأراضي وجني المحاصيل، وتعتبر الكلاب أولها ثم المواشي والحمير والجمال والخيول...
- ✓ توسط موقع جرمة لمنطقة الصحراء جعل منها مركز تجاري هام يربط بين الشمال والجنوب مما أتاح لها السيطرة على الطرق الرابطة بين الشمال والجنوب ولعب دور الوسيط التجاري بامتياز.
- ✓ صدرت مملكة جرمة مختلف البضائع والسلع المحلية والمستجلبة إلى قبائل ومدن الساحل والصحراء ولم تتوقف هنا بل امتدت لخارج المنطقة مثل مصر وقرطاج.
- ✓ عرف المجتمع الغرامنتي نظام اجتماعي محبك، حيث يتقيد كل فرد بسلطة الأسرة ثم القبيلة، كما أنه لكل فرد نسب وهوية واضحة وله أسرة معروفة لدى الجميع.
- ✓ بينت المصادر التاريخية والشواهد الأثرية المصرية أن الفرد الليبي عموما والغرامنتي خصوصا يعرف بزيه الخاص والمتمثل في الريشة وتصفيفة الشعر واللباس.
- ✓ قوة مملكة الغرامنت جعلت لها علاقات محلية وأجنبية تراوحت بين العداء والسلم، مما جعل منها عرضة لبعض الحروب أحيانا.
- ✓ تحالفت مملكة الغرامنت مع القبائل المحلية ضد الوجود الأجنبي مثل حلف الموزولامي، بقيادة تاكفاريناس الذي جعلهم قاعدة خلفية له.
- ✓ ظل الغرامنت في حالة تمرد ضد الاحتلال الروماني كلما سمحت له الفرصة مما اضطره في كل مرة إلى تغيير سياسة التعامل معها.
- ✓ رغم توتر العلاقات بين الغرامنت والاحتلال الروماني إلا أنه تخلل ذلك فترات سلم نشطت فيها التجارة بين الطرفين.
- ✓ وختاما رغم صعوبة المنطقة وقساوة المناخ مع تزامن مختلف التوجدات الأجنبية بين السلم والعداء إلا أن هذا الشعب استطاع أن يؤسس مملكة متكالمة الأركان ذات المكانة والهيبة المعترف بها، والتي جذبت انتباه مؤرخي العالم القديم.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة جرمة وما جاورها من المناطق

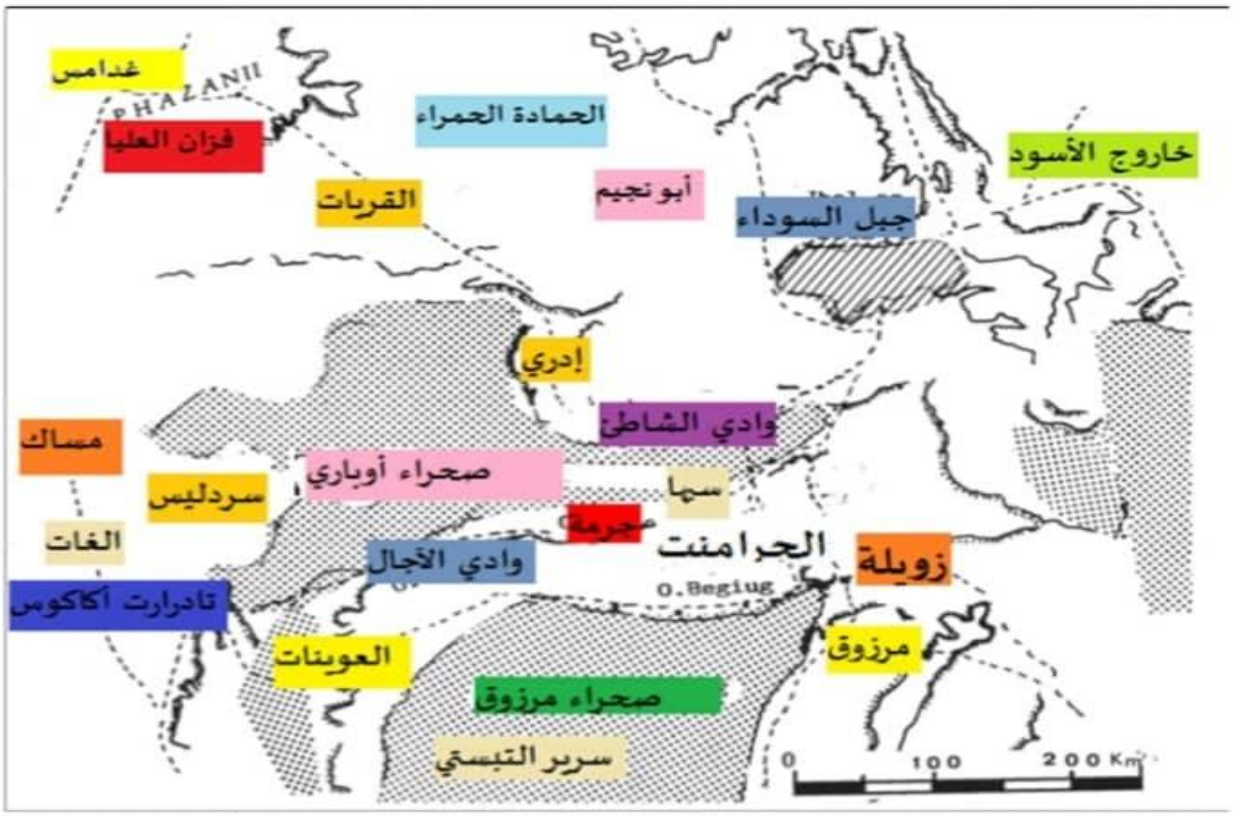

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 38.

الملحق رقم 02: طرق القوافل القديمة في الصحراء الكبرى

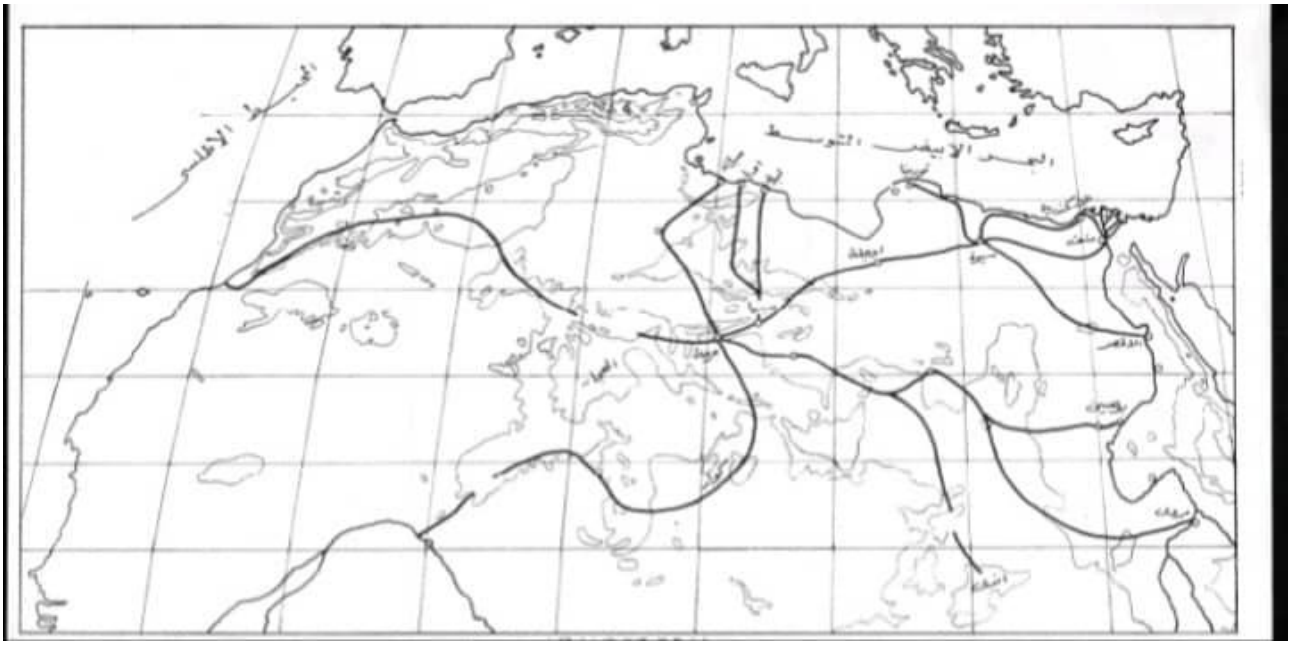

محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص261.

الملحق رقم 03: مسار حملة كورنيليوس بالبوس (19 ق م)

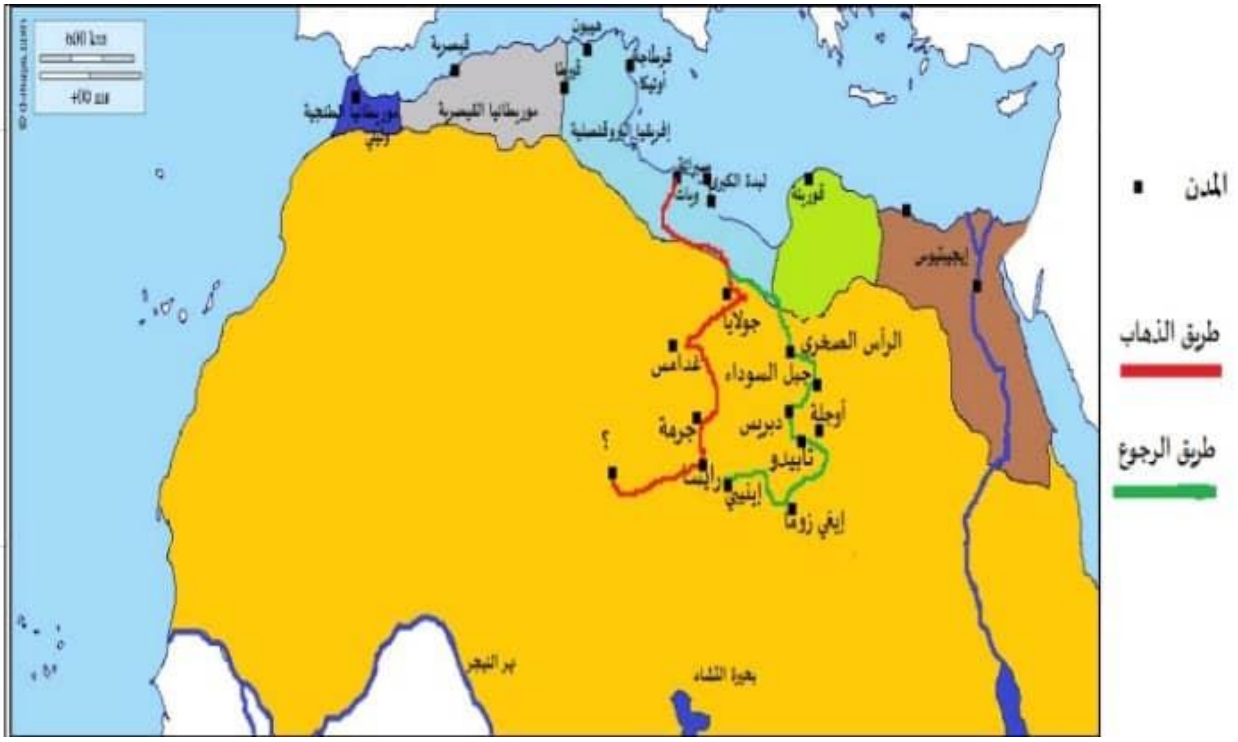

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 242.

الملحق رقم 04: مسار حملة فليريوس فستوس على جرمة

أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص 80.

الملحق رقم 05: مسار حملة سبتيموس فلاكوس مع الملك جرمة الاستطلاعية الأولى

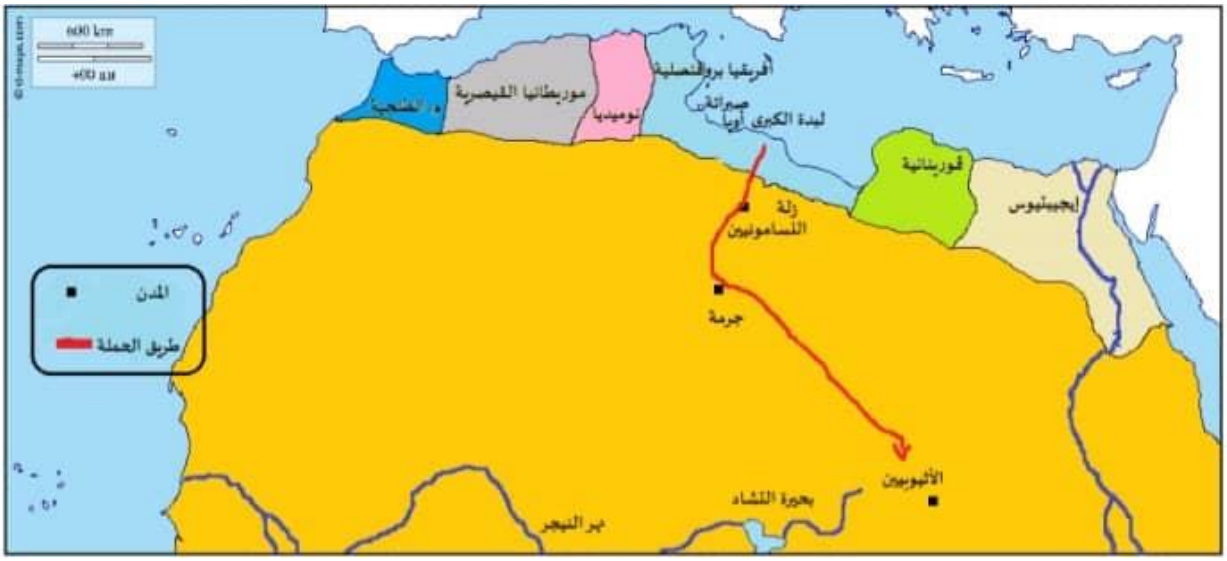

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 249.

الملحق رقم 06: مسار حملة يوليوس ماترينيوس الاستطلاعية الثانية رفقة الملك الغرامنت

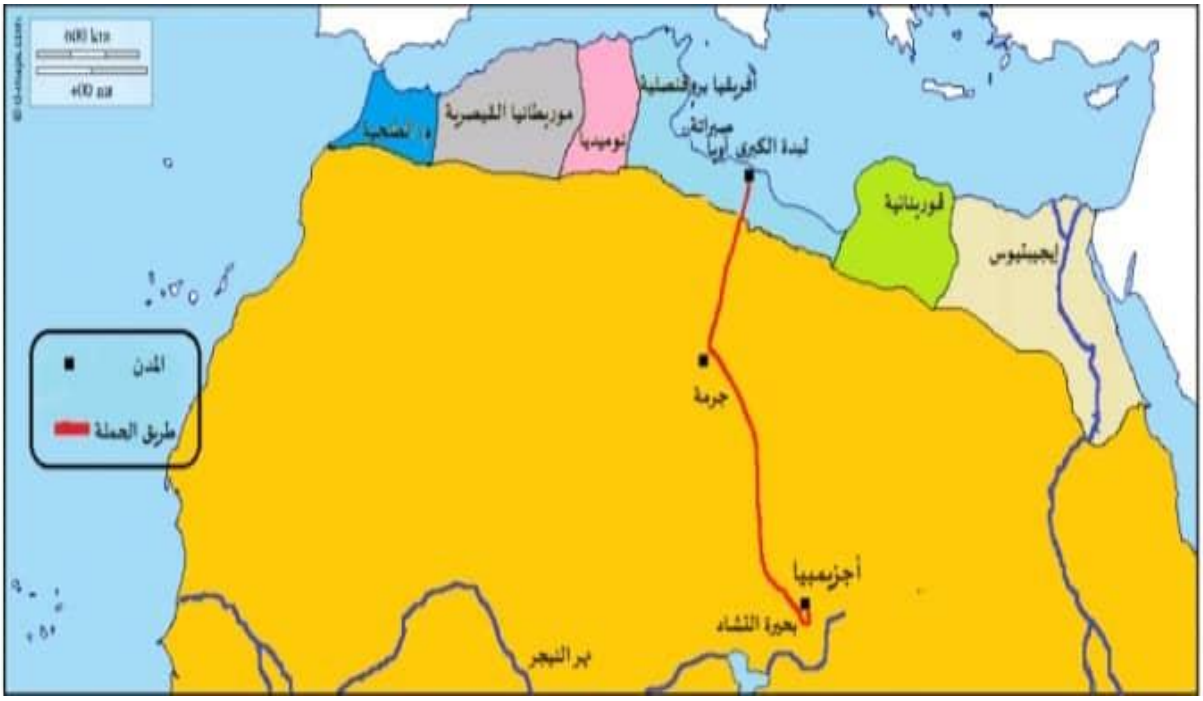

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 251.

الملحق رقم 07: موقع حصن جولايا

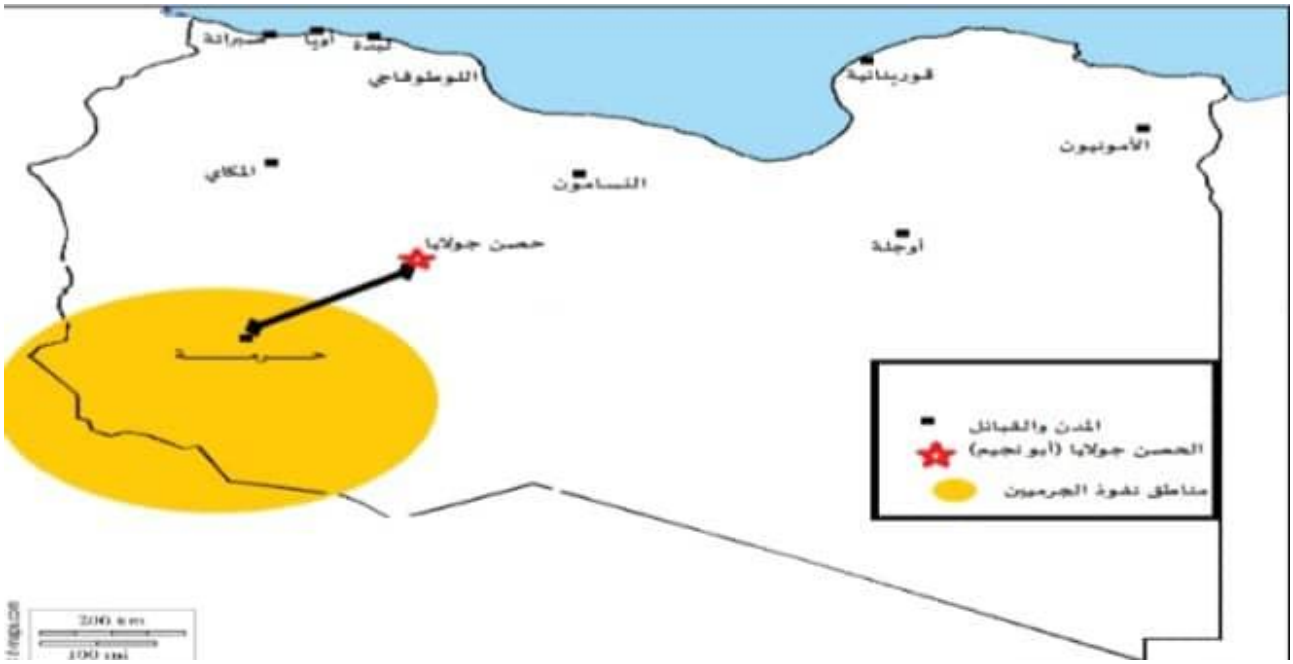

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 253.

الملحق رقم 08: موقع حصن غدامس

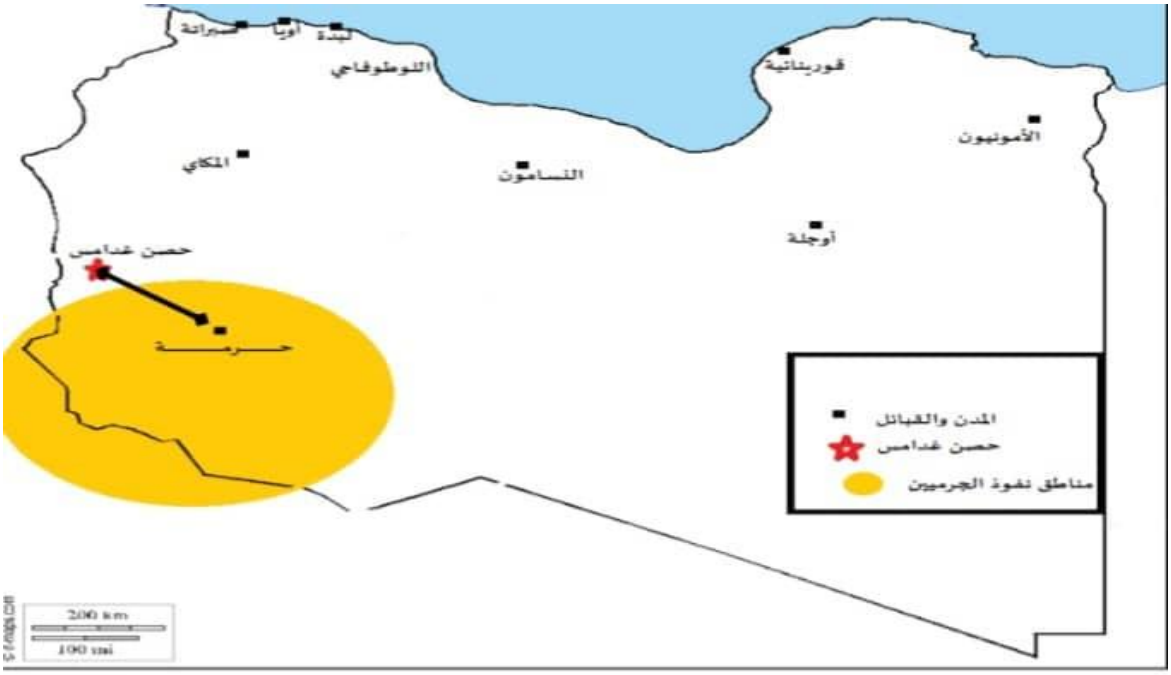

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 261.

الملحق رقم 09: موقع حصن القريات الشرقية والغربية

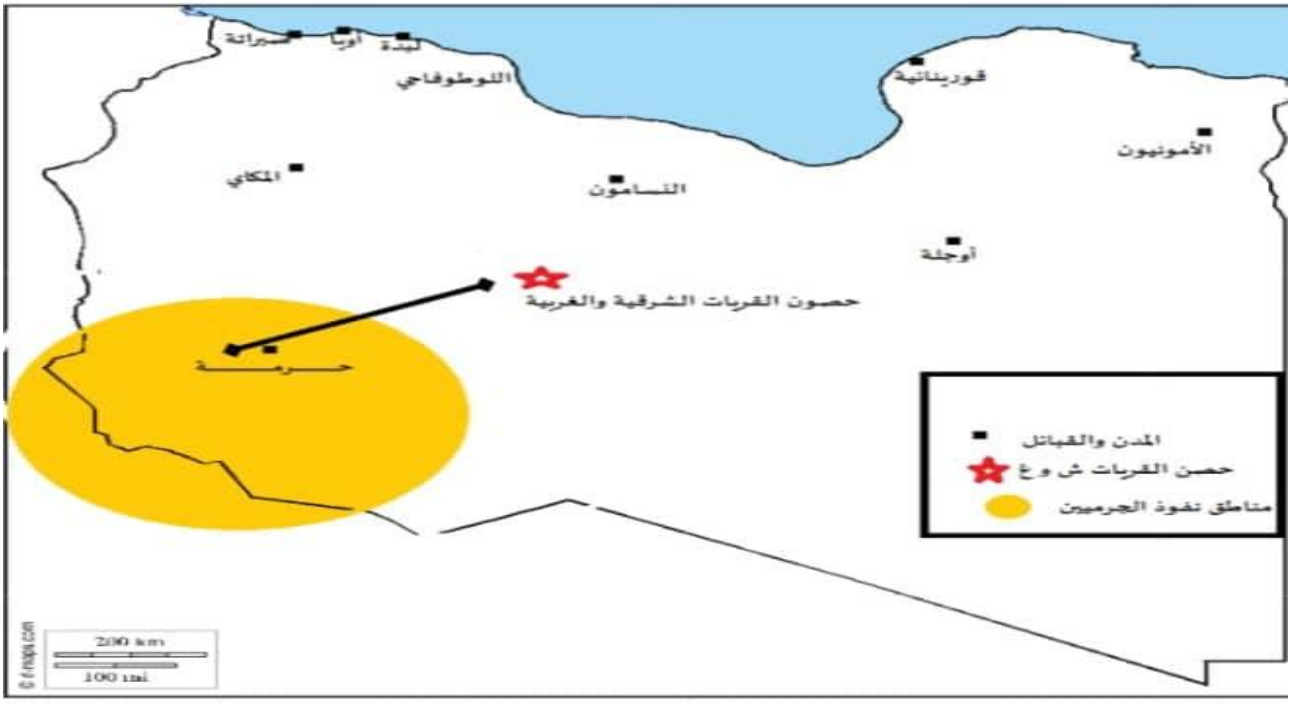

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 265.

الملحق رقم 10: نموذج من فجارات الشرقية والغربية.

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 169.

الملحق رقم 11: جدارية عنزة ترضع صغيرها – أمقويد الصحراء الوسطى

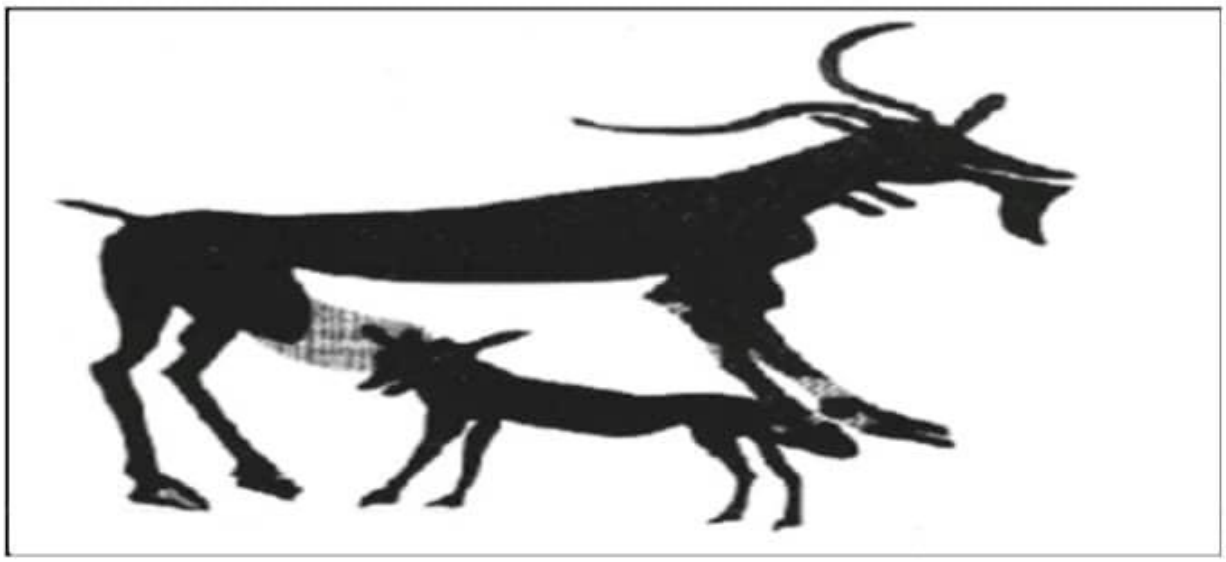

صندوق ستي، المرجع السابق، ص 199.

الملحق رقم 12: أربعة من المشواش يظهرون بالوشم والريشة

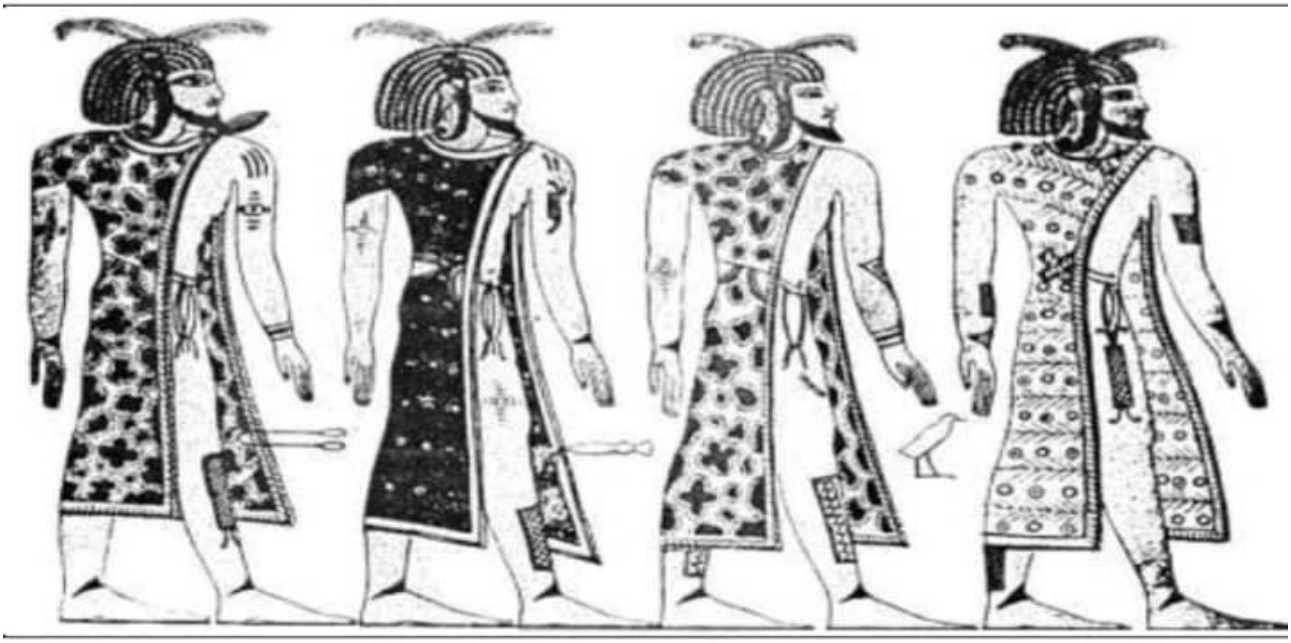

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 199.

الملحق رقم 13: رأس الإله جارما بمتحف جرمة الأثري

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 207.

الملحق رقم 14: الضريح الروماني بقصر الوطواط (جرمة)

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 214.

الملحق رقم 15: عربة الركض الطائر الخاصة بالغرامنت

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 65.

الملحق رقم 16: أسير من الغرامنت يضرب بالسوط ويقدم فريسة للأبد

مصطفى خاتمي، المرجع السابق، ص 76.

البيبليوغرافيا

- المصادر باللغة العربية:

1- فرجيلوس، الإنيادة، تر: شعراوي عبد المعطي، المركز القومي للترجمة، 2010، ج1.

2- هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، تر: مصطفى أعشى، المعهد الملكي للثقافة الملكية، الرباط، 2009م.

- المصادر باللغة الأجنبية:

1- Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, Tr: Terrasson, Ed: Adolphe Lib, Paris, 1851.

2- Hérodote, Histoire d'Hérodote, Tr: Larcher, Ed. A. D. Godley, Cambridge, 1920.

3- Pline L'ancien, Histoire Naturelle, Tr: Dubochet, Ed: d'Émile Littré, Paris 1850.

4- Polybe, Histoires Générale de la République Romaine, Tr: Hachette, Paris, 1847.

5- Strabon, Geographie, Tr: Amédée Tardieu, Hachette, Paris, 1867.

6- Tacite, Les Annales, Tr: M. Charpentier, Ed Garnier, Paris, 1900.

7- Vergile, l'Eniède, V, Tr: L'Abbé Delille, Paris, 1990.

- المراجع باللغة العربية:

1- أنديشة أحمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1993م.

2- أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي، طرابلس، 1969م.

3- البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، دار صادر، بيروت ، 1971.

4- البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصـــــــور حتى الفتح الإسلامـــــي، ج1، تامنغست، دس.

5- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب القديم، تر: الهادي بولقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريوش، بنغازي، 1988م.

6- جوليان شارل اندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: مزالي أحمد البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر.

7- د.ج ماتينجلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، تر: محمد الطاهر الحراري ومحمد عبد الهادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009م.

8- دانيلز تشارلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا، تر: أحمد اليازردي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1974.

9- الديناصوري جمال الدين، جغرافية فزان، دار ليبيا للنشر، بنغازي، د ت.

10- ريفيير كلود، الانثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م.

11- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

12- طيب محمد احمادي، الحضارة الليبية بالجنوب الليبي، (إقليم فزانيا)، جامعة قاريونس.

13- عصفور - محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، 1981م.

14- عقون أم الخير، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 715-950 ق م، دار القدس العربي، الجزائر، 2015م.

15- ـــــــــــــــ، نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم، منشورات مخبر التاريخ والحضارة الجغرافية التطبيقية، الجزائر، 2013.

16- عيسي محمد علي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والأنثروبولوجية واللغوية، المركز الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م.

17- لنتون رالف، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر التاريخ حتى بداية العصر الحديث، ج1، تر: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، 2010م.

18- الماعزي محمد الأمين، حضارات الصحراء سكان فزان دراسة وصفية قديما وحديثا، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2003م.

19- المحجوبي عمار، العصر الروماني (تاريخ إفريقيا العام)، ج2، منشورات جين أفريك اليونسك، إيطاليا، 1975م.

20- مصطفى كمال عبد الحليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، دس.

21- الميار عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 2001.

- المراجع باللغة الأجنبية:

1- Bates Oric, the eastem Libyans, franco Cassand, London, 1914.

-2 Baudir Marcel, Hommes Voilés et Femmes bibires: Les Touareg, Harmattan, Paris, 2008.

3- Gsell Stéphane, Hérodote, Textes Relatives à l'Afrique du nord, Ed Adolphe, Alger ,1915.

4- Ihaab Mahir; Abd salam Amar, the Garamamtes tracters of the desert Route educational and licial, science journal,v (7) , 2020.

5- Mattingly Davide, In search of the Gramantes: Alost civilization of the Libyan Sahara, text of lecture de livered at the British Ambassador's Residence, tripoli,24 February 2000.

- الرسائل الأكاديمية:

1- أسمهر المحفوظ، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة محمد الخامس أكدال، المغرب، 2004م.

2- العقون أم الخير، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م.

3- بن بوزيد لخضر، الجمل فيما قبل التاريخ الشمال الافريقي، مجلة الأثار، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013م.

4- خاتمي مصطفى، التميز الحضاري للصحراء الوسطى خلال العصور القديمة مملكة جرمة أنموذجا، رسالة لنيل متطلبات الدكتوراه، جامعة وهران، 2021م.

5- ستي صندوق، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2016م.

6- عبد الله الزدام نجلاء، الجرامنت علاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، جامعة المرق، رسالة ماجستير، ليبيا، 2009م.

7- عمران أحمد الشريف، سياسة الرومنة في ولاية إفريقيا البروقنصلية ومقاومة القبائل الليبية لها خلال عصر الإمبراطورية الرومانية 27 ق م-29م، جامعة المرقب قسم التاريخ، د.د، د.ت.

-المجلات والدوريات:

1- بن عطاء الله عبد الرحمان، المدن والتمدن في الصحراء الكبرى قديما "دراسة حالة عاصمة شعب الغرامنت مدينة غرمة"، مجلة العصور الجديدة، ع10، جويلية 2013م.

2- حارش محمد الهادي، انتفاضة تاكفاريناس: قراءة في كتاب الحوليات لتاكيتوس، دراسات تراثية، مج: 16، ع:1، جامعة الجزائر، 2022، ص2017.

3- ـــــــــــــــــ، ثورة تاكفاريناس (18-24م)، مجلة الجديد للعلوم الانسانية، ع9، الجزائر، 1995م.

4- خاتمي مصطفى، الحملات الرومانية ضد مملكة جرمة ما بين19 ق م -17م، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج11، ع02، 2020م.

5- دراوي محمد علي، الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع18، جامعة المرقب، ليبيا، دس.

6- رمضان عبد الرزاق، مختاط إبراهيم وآخرون، الزراعة والثروة الحيوانية في المملكة الجرامنتية، مجلة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية، جامعة بنغازي، ع3، مارس2025م.

7- زارم صلاح الدين أحمد، مصادر الاقتصاد الليبي قبل الاستعمار الإغريقي، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، ع7، 2011م.

8- سالم العقيلي فاطمة، الصادرات الجرمنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة السيد محمد بن علي سنوسي، كلية التاريخ والحضارة، ع3، 2019م.

9- سعيد الفاخري مبروكة، العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الروماني على الساحل الليبي منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث للميلاد، مجلة سبها، ع2، 2013.

10- سي الهادي ذهبية، دور الجرمنت في التجارة الصحراوية في بلاد المغرب القديم، مجلة المحترف، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مج 10، ع4، الجزائر 2023م.

11- سيد محمد عمار علي، المواجهات العسكرية بين قبائل الجرامنتيين والرومان (القرن الأول قبل الميلاد- القرن الثالث للميلاد)، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ع40، د.ب، د.ت،

12- عقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع 7، يناير 2006.

13- عمران أحمد حسين الشريف، المعبودات والطقوس الجنائزية الجرامنتية وتأثير وتأثر الديانات المجاورة لها، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، مج20، ع03، قسم الآثار الكلاسيكية كلية الآثار والسياحة الخمس، جامعة المرقب، ليبيا، 2021 م.

14- عيسى محمد علي، ليبيا خلال العصر الحجري الحديث، مجلة الجديد، ع4، 1999م.

15- عيسى محمد، ثورة تاكفاريناس وتبليط شوارع لبدة، مجلة آثار العرب، ع5، 1996م.
16- فاخري سعيد مبروكة، المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس ميلادي، مجلة جامعة سبها، مج 14، ع2، 2015م.
17- قجالي أسامة محمد مهدي، بن علال رضا، الحركة التجارية في بلاد المغرب القديم التجارة الجرمنتية نموذجاً، مجلة الباحث، مج16، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2024.
18- كتفي الشريف هاجر، قبائل الموزولامي الأوراسية المجال الجغرافي وأدوارها التاريخية، مجلة العلم الانسانية والاجتماعية، مج6، ع24، 2022م.
19- مسعود راشد توفيق، التقنية العلمية لأنظمة الري في فزان قديماً(الفجارات)، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، ع3، مج20، 2021.
20- مقدم بنت النبي، موقف الجرامنت من السياسة الرومانية ما بين القرن الأول والثالث ميلادي، حوليات جامعة الجزائر، مج09، ع02، 2023.

فهرس الموضوعات

الفهرس

الشكر والعرفان

مقدمة.....04

قبائل الغرامنت النشأة والتطور.....07

دراسة جغرافية.....08

الموقع الجغرافي.....08

مظاهر السطح.....08

المناخ.....09

الغطاء النباتي.....09

الأصول التاريخية وتأسيس جرمة.....10

الجذور التاريخية.....10

تأسيس المملكة.....11

الغرامنت من خلال المصادر الكلاسيكية.....12

هيرودوت.....12

سترابون.....13

فرجيليوس.....13

بلين الكبير.....13

الحياة السياسية والاقتصادية.....16

النظام السياسي.....16

الحكم السائد.....16

الجيش.....16

النظام الاقتصادي.....17
الصيد وتدجين الحيوانات.....17
الزراعة ونظام الري (الفَجَارات).....19
الصناعة.....21
التجارة.....22
الصادرات والواردات.....24

الحياة الاجتماعية والدينية.....28

النظام الاجتماعي.....28
الأسرة والنظام الطبقي.....28
السكن.....29
اللباس والريشة.....30
الوشم وتصفيف الشعر.....32
الحياة الدينية.....33
مراحل تطور الديانة الغرامنتية.....34
أنماط المقابر الجنائزية.....35
طقوس الدفن.....36
علاقات مملكة الغرامنت 39
علاقات محلية.....39
مع مناطق إفريقيا جنوب الصحراء.....39
مع القبائل الليبية.....39
مع اقليم المدن الثلاث.....42
العلاقات الخارجية 43

مع مصر الفرعونية 43
مع قرطاجة 44
مع روما.....45

الخاتمة.....54

الملاحق.....57

البيبليوغرافيا.....66

فهرس الموضوعات.....73